وزارة التـــــعليم العـــــــالي والبحث العـــــــــــــــلمي

جامـــــــــــعة عبد الرحـــــمن ميرة ــ بجـــــــاية

كُلـــــــــــية اللـــغات والآداب

محاضرات في
مقياس البلاغَة واِلحَجاج
موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر
تخصص: لسانيات عربية

إعداد :

أ.محمد الزين جيلي **أ. نورة بن زرافة**

السنة الجامعية 2021/2020

مـــادة البلاغة والحِـــجَاج

المحاور الأساسية:

1. **مفاهيم أوليّة وتأسيس.**
2. **النظريات الحِجَاجِيّة .**
3. **النظرية الحِجَاجِيّة في البلاغة العربية.**
4. **بلاغة الحِجَاج والإقناع.**
5. **الحِجَاج وتقنيات التأثير.**
6. **الحِجَاج وبنية الخطاب.**
7. **الحِجَاج والبلاغة الجديدة.**
8. **الاستدلال الحِجَاجِي والنصّ.**
9. **الحِجَاج البلاغي في التداولية.**
10. **الحِجَاج في التواصل.**
11. **الحِجَاج والمحادثة.**

المحاضرة 01 :

مفاهيم أولية وتأسيس1.

تمهيد:

أضحى الحِجَاج في العقود الأخيرة مثار اهتمام الدارسين حيث ظهر ذلك في المصنفات والأبحاث الكثيرة التي كان مدَارها على إنفَاذ النّظر ومعاودته فيه، إذ لم تكن جُهود النُّظار مقصورة على مجال واحدٍ، بل شملت مجالات متعددة. ذلك أنّ الحِجَاج جُزء من مَعيش الإنسان المعاصر حتّى أوشك أن يشمل جميع أنماط الخطاب التي تتجلى بأشكال مختلفة فيه . حيث تُقدم لنا مختلف أشكال التواصل في الفضاء اليومي والعائلي والسياسي والديني والتجاري كمًّا هائلا من ضروب الحِجَاج البلاغي، فانغرس الحِجَاج في أعقاب ذلك في صُلب كل الممارسات الخَطابية.

يُعدّ البحث في "الحِجاج" من نتائج التحوُّل المنهجي العميق الذي طرأ على مقاربات الدّرس البلاغي الحديث والمعاصر، وكان التغيّر الجذري الذي طرأ على البحوث اللّسانيّة على وجه العموم من بواعثه مما أفضى إلى تخلّى البلاغة الكلاسيكية عن نزعتها المعياريّة في فرض القواعد.

لقد ذهب العلماء في تعريفهم الحِجَاج مذاهب شتى فمنهم من نظر إلى المفهوم من زاوية الوسيلة والبنية الأنماطية (Typologique) لجنسه الخَطابي، ومنهم من اتّخذ منظور تحديد الغاية (المقصد) المتوخاة منه جِهة للنَّظر.

1- تعريف الحجاج:

1-1 **لغة:** جاء الحِجَاج في لسان العرب في مادة "ح ج ج" حاججته أحاجة حجاجًا، أو محاجة حتى حجته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها..... والحجة: البرهان، وقيلا الحُجَّة ما دفع به الخصم، وقال الأزهري:الحُجَّة أحجج وحجاج، وحاجة محاجة وحجاجًا نازعه الحجة.....[1]

وورد في "مختار الصحاح" أن:الحُجَّة هي البرهان وحاجه فحجة من باب رد أي غالبه بالحجة وفي مثل: لج، فحج، فهو محاجج بالكسر؛ أي جدل، والخاج والتخاصم"[2].

وأضاف في هذا الشأن الجرجاني في معجمه "التعريفات" بقوله: "الحُجَّة ما دل به على صحة الدعوى، وقيلال الحُجَّة والدليل واحد.[3]

وذهب الأزهري إلى القول: "إنّما سُميت حُجّة لأنها تُحج أي تُقصد؛ لأنّ القَصد لها وإليها، وكذلك مَحجة الطريق هي المقصد والمسلك [...]، والحُجّة الدّليل والبرهان[4]".

1- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف مج2، ج 9، القاهرة، دت، مادة (ح ج ج)ص 288.
2 - محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي ط1، بيروت1667م، ص122.
3 - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الإيمان، د ط، الإسكندرية، مصر، 2004م، ص73.
4 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 2 / 779.

كما يُطلق مُصطلح الحِجَاج ويُراد به المُنازعة بالحُجّة، وهو فعالية إقناعية ونشاط استدلالي على شكل خطاب يتوسل بآليات وتقنيات لغوية وتنظيمية تسعى إلى التأثير في المتلقي قصد كسب تأييده وموالاته. حيث يدل مُصطلح الحِجَاج بحكم صيغته الصرفية؛ على معنى المُشاركة في تقديم الحُجج، كما يدل كذلك على مُقابلة (مقارعة) الحُجَّة بالحُجّة.

كما ترِد لفظة الحِجَاج في معاجم اللغة " ومشتقاتها ؛ حَاججته أحاجُّه حجاجاً ومحاجَّة من حجَجْتُه بالحجج التي أدليت بها والحجَّة البرهان، وقيل الحُجَّة ما دُوفع به الخصم" . وقال الأزهري: الحُجَّة؛ الوجه الذي يكون الظفر عند الخصومة، وجمع الحُجَّة حُجج وحِجاج. وحاجّه محاجَّه وحِجاجاً نازعه الحُجَّة. وحجَّه يحجُّه حجّاً غلبه على حُجَّتِه، كما ورد في الحديث "فحجَّ آدم موسى"؛ أي غلبه بالحجَّة واحتجَّ بالشيء اتَّخذه حُجَّة، قال الأزهري: إنّما سُمِّيت حُجّةً لأنَّها تُحَجّ؛ أي تُقصد، لأنّ القصد لها وإليها" . وقال الجرجاني: "الحُجّة ما دُلَّ به على صِحّة الدّعوى، وقيل الحُجَّة والدليل واحدٌ" فالحِجَاج في المحصلة هو سوق دليلٍ مُعيّنٍ قصد إثبات قضية من القضايا.

كما وردت كلمة "حاجّ" في نصوص القرآن الكريم في مواضع مختلفة وبدلالات مختلفة مثل قوله تعالى: ***﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ*** [1] حيث سيقت كلمة الحِجَاج في هذه الآية الكريمة بمعنى الخصام وطلب الدليل، لأنّ المضمون الدلالي للفظة الحِجَاج مداره على التخاصم والجدل بين شخصين أو أكثر.

يُستفاد مما سلف أن مفهوم الحِجَاج مَداره على التخاصم والتنازع والسِجال حيث يُتوسل فيه بالبرهان بهدف تحصيل نتيجة معينة.

1- 2 اصطلاحا:

بعد تحديد مُصطلح الحِجَاج من جهة العِماد اللغوي الحامل له، نورد التعريف المفهومي له الذي يَحدُّه لالاند (Lalande) في قاموسه الفلسفي بهذا التّحديد : " المُحَاجَّة أو الحِجَاج ؛ ومفاده أنّ المُحَاجَّة هي مسار من الحُجَج تنزعُ كُلّها إلى النتيجة ذاتِها أو طريقة في عرض الحجج وترتيبها [2] .

في مقابل ذلك عرّفه طه عبد الرحمن حديثاً على أنّه: « كُل منطوق به مُوجّه إلى الغير لإفهامه دَعوى مخصُوصة يحق له الاعتراض عليها» [3] . إذ لم يحمل هذا التعريف الأخير جديدا أو اختلافا عما جاء به القدامى، لكنّ صاحبه اجتهد في سبيل توسيع المفهوم وتدقيقه ليتجاوز دائرة الجدل والخصومة، وبغية تحصيل ذلك فقد بلوره في هذا التّحديد الدقيق الموجز في قوله: « لا خطاب بغير

1 سورة البقرة، الآية 257.
2 أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: أحمد خليل، مجلد1.
3 طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء،1998 ، ص، 226.

حِجاج، ولا مُخاطِب من غير أنّ تكون له وظيفة المُدعي ولا مخاطَب من غير أنّ تكون له وظيفة المعترض»[1].

بناء على ما تقدم، يغدو الحِجَاج آلية خطابية من آليات الإقناع تتميز بقيامها على تسخير اللغة قصد الإقناع حين تستهدف العقل والعاطفة بغية إحراز التأثير.

لعلّ أهم شيء تقوم عليه المُكونات التصوّرية لمفهوم " الحِجَاج" هو حصول خلاف بين المرسل للرسالة اللغويّة (العارض) والمتلقّي لها (المعروض عليه)، الذي يُعدّ من قوادح (déclencheur) فعل المُحَاجَّة حيث يسعي الأوّل إلى إقناع الثاني بوجهة نظره، بتقديم الحُجَّة ونصب الأدلة على ذلك. فالحِجاج هو سلوك مسلك مُعيّن في الاتّصال، غايته استمالة عقول المعروض عليهم قصد التأثير فيها، وحيازة إقناعهم وتوجيههم بمقصد معيّن.لأنّ النفوس ـ بعبارة السيوطي ـ أبعَثُ على قَبول الأحكام المُعَلّلة.

إنّ المفهوم السالف هو الجوهر الذي قامت عليه الخطابـة الجديـدة (la nouvelle rhétorique)؛ إذ "تُطـلق لفظة حِجاج ومُحاجَجَة (Argumentation) عند بيرلمان وتيتيكاه ـ كما سيأتي بيان ذلك ـ على العلم وعلى موضوعه في الآن نفسه، ومؤدّاها درس تقنيات الخطاب التي تؤدِّي بالذهن إلى التسليم بما يُعرَض عليه من دعَاوى (أطروحات)، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم. وربّما كانت وظيفته محاولة جعل العقل يُذعن لما يُطرح عليه من أفكار، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان إلى درجة تبعث على العمل(السلوك) المطلوب.

يسوغ القول ، على صعيد آخر، إنّ الحِجَاج في صلته بالمتلقّي يروم حصول عملٍ ما أو التمهيد له، ومن ثَمَّ سيكون فحص الخطابات الحِجَاجِيّة المختلفة بحثاً في صميم الأفعال الكلامية وأغراضها المقامية، وعلاقة الترابط بين الأقوال التي تنتمي إلىالبِنيَّة اللغويّة الحِجاجيّة، حيث يترتب عليها حصول الاقتناع الفعلي بالقضية محل المُحاججة.

جامعة عبد الرحمن ميرة ـ بجاية.
قسم اللغة والأدب العربي.

المحاضرة 01 :

مفاهيم أولية وتأسيس (2).

1 طه عبد الرحمن ، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، المرجع السابق، ص213.بتصرف

دَرَجت المعاجم المفهومية المُتخصصة على تقديم تعريف للحِجَاج على غرار ما ورد في مُعجم تحليل الخطاب بكونه :« خِطابٌ منطقي، في نطاق نظرية العمليات الذهنية الثلاث : الفهمُ والحكمُ والنّظرُ العقليّ. بواسطة الإدراك يتصور الذهن فكرة شيء وبالحُكم يثبت أو ينفي شيئا عن هذه الفكرة ليفضي إلى قضية مثل " الإنسان ميت " وبالنّظر العقلي ينسق أحكاماً تنسيقاً يتدَرجُ (progression) به من المعلُوم إلى المجهول. حيث يطابق هذه العمليات العِرفانية الثلاث عمليات على المستوى اللّساني هي على التوالي:

1. إرساء الخطاب مرجعياً بواسطة اللفظ .
2. بناء الملفوظ بفرض مسند على اللفظ .
3. تسلسل القضايا أو حجاج بواسطته يُنتج المرء قضايا انطلاقا من القضايا التي تمت معرفتها. يُطابق الحِجَاج على الصعيد الخطابي النّظَر العقلي[1] على الصعيد العرفاني"[2].

يُستفاد من التعريف السالف، الذي تصرفنا في طريقة عرضه، مايلي:

1. الإظهار والإنجاز الفعلي للحِجَاج عن طريق اللفظ.
2. الخاصية البنائية للحِجَاج من خلال تعالق الأقوال وانبناء بعضها على بعض.
3. تركيزه على المجهود العِرفاني التّفكيري الّذي يبذله المرء في سبيل تحصيل معرفة مجهولة انطلاقا مما هو معلوم؛ أي بناء على ما يُصطلح عليه بالمُقدمات أو المواضع(topi)، حيث يُلجأ إليها في كلّ حجاج يروم الإقناع، بغضّ النّظَر عن جنس الخطاب.

كما دأبت الأدبيات المُشتغلة بالحِجاج كذلك على تقديم تعريف جامعٍ له نركَن إليه ومؤداه : «***الحِجاج جنسٌ خاصٌ من الخطاب يُبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيه المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المُترابطة ترابطا منطقيا قاصداً إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية»***[3]. يحصل من هذا التعريف المبسوط لمشمولات فعل المُحاجّة ومقوماته ما يلي :

1. القضية أو الفرضية الخلافية:

يُراد بالقضية الوحدة المنطقية المُركبة من جملة ودلالة (proposition) وذلك لأنّ العملية الحِجَاجِيّة في الأصل عبارة عن قضية أو مجموعة من القضايا يُدَّعى بها، ويُدافع

1 النّظَر : هو التفكر الّذي يطلب به الناظر عِلمًا أو غلبة ظن أو ترتيب اعتقادات وظنون ليتوصل بها إلى الوقوف على أمرٍ أو اعتقادٍ أو ظنٍ. ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحِجَاجِي عند ابن تيمية مقاربة تداولية، ط1، الانتشار العربي، بيروت، لبنان2013.

2 باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمّود، المركز الوطني للترجمة، تونس2008، ص 69. بتصرف.

3 حافظ إسماعيلي علوي، الحِجَاج مجالاته ومفهومه، المرجع السابق، ج4، ص5 .

عنها أيضا، وذلك لتعذر وجود دليل دون قضية مُستدل عليها، فالادعاء فعل كلامي يعتقد فيه المدّعي صدق ما يدعيه، ويطالب المعروض عليه بأنّ يُصدق بدوره هذه الدّعوى .

1.1. الاعتقادية: إنّ بناء المعرفة مُكوّن بشكل يجعلنا نعترف أننا لا نعرف شيئا إذا لم ندّعي أنّ ما نعرفه صادقاً ؟ حيث يُصبح الإخلال بهذا الشرط مدعاة إلى إفراغ فعل الادّعاء من طاقته الإقناعية في حال ما إذا كان صاحب الادعاء غير مُقتنع به. فكل من يعتقد دعوى ـ كما ذهب إلى ذلك طه عبد الرحمن ـ عليه أن يبني اعتقاده ذلك على دليل وإلاّ بطل اعتقاده. وعليه كانت الاعتقادية من شروط صحة فعل العرض.

2.1. **عبءُ الإثبات والتدليل(**la charge de la preuve**)**: من شروط إنجاز فعلِ الادّعاء القصدُ إلى التّدليل به وإلاّ كان ذلك الفعل مُجرّد عبث من القول لا طائل من ورائه[1]، كما يُضاف إليه القصد إلى التّدليل على مضمونه والالتزام بمقتضيات المضمون اللازمة منه، فعبء الإثبات هو الذي يُشكلّ الدّليل على صحة ادعاء ما، إذ يُتوصل إليه عن طريق مسالك التّدليل. وكل ادعاء عارٍ من دعامته وسنده هو ادعاء مُرسلٌ، كما أنّ تنصل المُدعى من عبء التّدليل هو من الصور الاستدلالية الفاسدة.

2. الفرضية:

يُطلق مُصطلح الفرضية في مناهج العلوم ويُراد بها الطرح أو التفسير المُقترح لظاهرة ما، أو هي أطروحة منطقية مقترحة تُقدم علاقة ارتباط بين ظواهر متعددة. وكلمة (hypothèse) مشتقة من الجذر الإغريقي القديم (hypotithenai) الّذي يعني "يَضع أسفل" أو يعني "يفترض"، ومن شروطها القابلية للفحص. كما يتعالق مفهوم الافتراضات مع مفهوم المعرفة المُشتركة[2] بين المُتخاطبين.

3. الخلافية:

لا ينفك تصوّر المُحَاجَّة كما هو عليه إجماع الأدبيات المُؤرّخة لها عن السياق الخِلافي التَنَازُعي(polémique) بوصفها نشاطاً تداوليًّا مَداره على التفاعل و المشاركة، وهو تصوّر في الحقيقة، قد لازمها من أرسطو إلى عصرنا هذا، ذلك أنّه ما من مُحاجَّة إلاّ وكان الباعث (déclencheur) عليها حصول شكٍّ (la mise en doute) في مدى صحة قضية ما أو دعوى (thèse) يُرادامتحانها، إذ من المُسلّمات التي لا مُماراة فيها أنّ المُحَاجَّة لا تنطلق من فراغٍ، بل إنّ الباعث الخلافي يؤثر على مسار(trajet) الحِجَاج من جهة تحكمه في طريقة

1 ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحِجَاجِي عند ابن تيميّة، المرجع السابق.
2 عبد الهادي بن ظافر الشّهري، الخطاب الحِجَاجِي عند ابن تيمية، المرجع السابق، ص30.

عرضه ووجهته لأنّ المسار الحِجَاجِي في حالة الخلاف يبدأ في الغالب من عرض دعوى الطرف الآخر والتشكيك في صحتها ثم الاعتراض عليها بغية تجاوزها وتقديم بديلاً عنها والدعوة إلى القَبول به، ذلك أنّ مدار فعل الحِجَاج في المُحصلة على التموضُع (positionnement).

لا ينبغي لنا أن نحصر مرامي الحِجَاج على البواعث الخلافية له فحسب، الّتي هي في الحقيقة، العَصُب المُحرك له، فنجعل من أهدافه التمييز بين الصادق والكاذب من القضايا بغية البت فيها، بل إنّ مراميه، كما يذهب إلى ذلك فينو (G.Vignau) قد تتعدى ذلك إلى جعله أداة للتفكير باعتبار حصوله هو وجه من وجوه الحِجاج، مما له صلة مباشرة بالوجه المعرفي (face cognitive) للحجاج[1] .

يتوخى هذا النمطُ من الحِجَاج كما تشيعه الأدبيات الإبيستمولوجية بناء المعرفة وتمتينها عن طريق التدليل الذي يسلك في ذلك مسالك خَطابية (démarches discursives)، وإنشاء حقائق ذات معقولية مُتسعة تأخذ بالتدليل المستند، دون أن تقف عند حدود البرهان الصوري الضيّق وتحصره فيه، بسبب ظُهور مبدأ نسبيّة الصدق المنطقي الذي أفضى بدوره إلى مبدأ مُرونة الحقيقة العلمية بشكل عام [2].

يقوم التدليل الذي يسلك المسالك الخَطابية بتطويع القواعد الصورية الصارمة بما يتوافق وخصائص الاستدلال الحِجَاجِي باللغة الطبيعية، فالمُحاجّة تهدف إلى التأثير في العمليات العقلية المعرفية للآخر المعروض عليه، من خلال نقل قناعة إليه وخلق تصديق وقَبول عنده.

تجدر الإشارة إلى أنّ سمة الخلافية الّتي هي من مشمولات السياق الذي يجري فيه الحِجَاج ذات وظيفة إجرائية تتمثل في التفريق بين الدّليل والحُجّة، تبعاً للغاية المتوخاة من إيرادهما، فالحُجّة تُساق في موضع الخصومة أمّا الدّليل فلا يساق بقصد الغَلبة.

4. الدّعوى:

1 يتجلى الوجه المعرفي في الحِجَاج في إجراءات تحليل القضايا وتركيبها (التأليف)، والفحص النقدي لها بوضعها موضع التساؤل، والنقاش والتفسير، والبرهنة عليها بالحجج والعلل والأدلة وتقديم الدوافع، حيث نحصل في خلاصة المُحاجّة على النشاط الفكري المصاحب لها.

2 ينظر: بنّاصر البُعزّاتي، الاستدلال مستويات في القوة والوثاقة، ضمن آليات الاستدلال في العلم، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1،2000.

اصطنع المُهندسون العرب في بدايات التأليف الأول في ميدان الهندسة مُصطلح الدّعوى (thèse) للدلالة على مفهوم المُبرهنات[1] فيما يعرّف التّهانوي الدّعوى عند أهل المناظرة بأنّها: «قضية تشمل على الحُكم المقصود إثباته بالدليل، أو إظهاره بالتنبيه، والقاصد والمتصدي لذلك ؛أي لإثبات الحكم أو إظهاره يسمى مُدّعيا» [2]

يُستفاد من التعريف السالف أنّ الدّعوى هي القضية التي يُستدل عليها لإثبات نسبتها المجهولة قبل الشروع في الاستدلال، ومن شروطها أن تكون محل خلاف؛ أي محل إثبات أو إبطال ولا تكون حينذاك مشفوعة بحجة تُؤيدها.

فالدعوى (الأطروحة) مُكوّن لغوي يُعبّر بها صاحب الخطاب عن مواقفه حيث تبرز قيمتها وتتخذ صفتها عند إحلالها في موقف (مقام) خلافي تنازعي؛ « فالدعوى إذ تحدى به المُتحدي ولم يكن عليه برهان إن كان في مقابلة خصم، وإن لم يكن في مقابلة خصم سميناها قضية »[3]حيث تُعدّ الدّعوىالبِنيَّة الأساسية الّتي يُفتتح بها الخطاب الحِجاجي، كما أنّها النتيجة التي يسعى المُستدِل أن يثبتها أو يُبطلها للمستدَل له ، وعليه كانت الغاية التي من أجلها ينعقد الخطاب الحِجَاجِي والمحور الذي عليه يدور، إذ تستمد الدّعوى قوتها من الحُجَّة كما أنّها تحدد الغاية من إيراد هذه الأخيرة.

تنقسم الدَعاوى ـ كما تُشيعه الأدبيات الحِجَاجِيّة ـ إلى كُليّة وجزئية، فالكُليّة هي الدّعوى المُؤسِسة الّتي يطرح فيها المُدّعي تصوّره العامّ وقد تتضمن دعاوى مشتقة عليه، وهي الدَعاوى الجزئية الّتي تؤلف مع غيرها دعوى كلّيّة، على أنّ المُستدَل له (المعروض عليه) لا بدّ أن يكون مُؤهلاً لاستخلاص علاقة اندراج الجزئية في الكُليّة، مُعولاً في عملية الاستخلاص تلك على معرفته بمقتضيات اللغة التي كُتب بها الخطاب، وعلى معرفته بالمجال التداولي للخطاب وموضوعه مُهتديًا بقرائن ترجيحية وحُجج توجيهية توصله إلى الدّعوى الكُليّة.

والدّعوى فعلٌ كلامي يتلفظ به المُدّعي في سياق اختلافي(تنازعي) حيث يفضي ذلك إلى سلسلة لوازم متضمنة فيها لتغدو محلاً للدلالة[4]، أمّا الوظيفة التي تنهض بها الدّعوى في الخطاب الحِجَاجِي فتحددها الأدبيات المُشتغلة به في ما يلي:

1 عماد صالح محنان، تحليل الخطاب الهندسي في التراث العربي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1،2015، ص121.

2 محمد على التّهانوي، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، بيروت لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996،ج1، ص785.

3 عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحِجَاجِي عند ابن تيمية، المرجع السابق، ص 256.

4 عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحِجَاجِي عند ابن تيمية، المرجع السابق، ص286.

- تحديد المجال الّذي يتحرك فيه الفكر.
- تعيين القضية موضع السؤال والخِلاف.
- مساق الدّليل والحُجّة والسؤال والجواب.

5. الدعامة أو السند:

تُطلق كلمة الدعامة في اللّغة ويُراد بها دعامة الشيء؛ أي عماده الّذي يقوم عليه وسَنَده وركيزته حيث يقال؛ هذا من دعائم الأمور؛ بمعنى ما تتماسك به تلك الأمور، والدَّعامةُ في اللغة : غُصْنٌ أو فَرْعٌ يُغْرزُ في الأرض لتتسلَّق عليه النَّباتات المُعْترِشة، كما وردت لفظة الدعامة كذلك في المعجم الوسيط؛ دعَمَ فُلاناً دَعْماً: أعانه وقوَّاه (دَعَّمَهُ)؛ قوَّاه وثبَّته؛ أي أسنده بشيء يمنعه من السقوط. كما يقال(ادَّعَمَ) : اتَّكأ على الدِّعامة.

أما المعني الاصطلاحي للدعامة في الأدبيات الحِجَاجِيّة فهو كلّ مادة يُقدمها العارض ليزيد من تصديق المعروض عليه بمقدماته وتبريرها، حيث تتضمن الدعامة الأدلة المنطقية والأمثال والشواهد الخاصة التي تدعم صِحّة الدّعوى المعروضة. أمّا السّندُ (étayage) فهو المعطيات المشتركة الّتي يقوم عليها الضامن، (le garant) الذي أسهم به تولمين(S.Toulmin) في نظرية الحجاج الحديثة وأصبغ عليه معانيَ قانونية (القوانين، والتشريعات).

6. التبرير والتعليل:

لقد ركَن النُّظار ردحاً من الزمن إلى الاعتقاد السائد بأنّ الكائن البشري إنّما هو على الصعيد العرفاني كاشف للتماثلات والتشابهات (les analogies)، ثمّ انصرف بعضهم إلى اعتبار الكائنات البشرية صانعة عِللٍ متوسلة بها في خطاباتها فتساءلوا عن كيفية صناعة النّاس للعللٍ واستخدامهم لها.

التعليل هو تبيين العِلّة الّتي يُراد بها في اللّغة ما يقوم في الشيء فيتغيّر به حَالُه، أمّا في الاصطلاح فهي ما يرجع وجود الشيء إليه، والتعليل من صُور الحِجاج، إذ تعرض الفكرة فيه ويُبيّن سببها لأنّ النفوس ، كما تقدم ذلك، أبعث على قَبول الأحكام المُعللة من غيرها، كما عبر عن ذلك السُيوطي في الأدبيات التراثية، فلا مماراة في أنّ الاستدلال الحِجَاجِي إنّما يُمارس بهدف إضفاء التصديق على أطروحة ما ويتوسيل قصد تحصيل ذلك المطلب بما يلي:

1. حَشدُ التعليلات.
2. المُسوّغات (التسوّيغ العقلي).

3. نصب الحُجج الداعمة (المُثبِتة) والحجج الداحضة(المُبطِلة).

يغلب استخدام مُصطلح التعليل في مجال العلم الطبيعي في حين قد غلب استخدام مفهوم التدليل في مجال المعرفة الفلسفية والمنطقية[1]، كما لا ينفك التعليل عن مفهوم العقلانية: « فإذا قيل هذا شيء عقلاني فقد يُرادبه أنّه شيء تدليلي أو أنّه تعليلي أو أنّهما معًا».[2] إذ يتّضح وجه هذا التلازم بين التعليل والعقلانية في اللّغة الفرنسية بوضوح حيث يفيد المُصطلح الفرنسي (raison) معنى العقل ومعنى السّبب في آن واحد [3]. كما دَرج النُظّار في الحجاج، وعلى رأسهم تولمين، على اعتبار التعليل الوظيفة الأساسية للحُجّة وما سواه من استعمالات فهو ثانوي.

7. سلسلة من الأقوال المترابطة:

لا يقوم الخطاب الحِجَاجِي في الغالب الأعم ة على لفظةٍ واحدةٍ ولا على قولٍ واحدٍ، إنّما تلزمه مجموعة من الأقوال، حيث يقوم على أقلّ تقدير على ملفوظين أو قولين، هما الحُجَّة والنتيجة حيث قِوام الحِجَاج على قضيتين على أقل تقدير.

تصطلح الأدبيات المشتغلة بالنصّ وانسجامه على تحديد مفهوم الرابط بوصفه كُلّ عبارة لسانية تسمح بربط مختلف أجزاء الملفوظ من خلال إقامة علاقات دلالية أو منطقية أو تداولية بينها. إذ يعمل الرّابط المنطقي عمل الكلمة دلاليًّا حيث يتناغم مع كلمات الجملة أو النصّ أو المقطع الّذي يَردُ فيه.

المحاضرة 03 :

النظرية الحِجَاجِيّة في البلاغة العربية.

تمهيد:

حقيق أن نشير إلى أنّ التتبع الدقيق لحركة المفاهيم يُفضى إلى الإقرار بأنّ الحِجَاج بوصفه فعالية فكرية لم يكن مقصورا على الثّقافة اليونانيّة كما لم تكن تلك الثقافة كذلك السبيل

1 طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة ج1، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1995، ص 178.
2 المرجع نفسه، ص175.
3 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأوحد الذي انتقل منها إلى الشّعوب الأخرى، بل هو على خِلاف ذلك صفة فطريّة جُبِلَ عليها الإنسان بوصفه كائنًا اجتماعيًّا، ذلك أن الراجِح في تفسير منشأ الحِجَاج في التّراث الغربي راجع إلى المنازعات حول ملكيّة الأراضي، فلا تكاد تخلو أدبيات التّراث العربي من تداول مصطلح الحِجَاج أو الاحتجاج أو المُحاجّة، ولاسيما في القضايا ذات المنزع الفكري والفلسفي الّتي كثر فيها الخِلاف، ووجهات النّظَر التي تقتضى التوسل بالحجج والأدلة قصد الترجيح والتسويغ، فهو كثير الدوران في علوم النّحو والبلاغة والفقه وعلم الكلام، كما أطلقت مصطلحات مقاربة لمعنى الحِجَاج من قبيل: الجدل، المناظرة، الإحتجاج[1] . وعليه كان من غايات البلاغة العربية هي الحِجَاج بالدرجة الأولى.

1. الحجاج في التراث العربي القديم:

2.1 الحِجَاج في القرآن الكريم:

وردت كلمة التحاجّج والحجّة في القرآن الكريم بمعانيهما المختلفة زهاء عشرين مرة، كقوله تعالى: ﴿ **هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ[2]﴾.** وقوله: ***﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ [3]﴾.*** كما ذكرت كلمة برهان ثماني مرّات، كقوله تعالى: ***﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ[4] ﴾.***

قد جاء القرآن بلفظي حجاج وجدل حيث نلمس معانيها السياقية الكثيرة، كقوله تعالى: ***﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ [5]﴾*** ، حيث فسّر محمد الطّاهر بن عاشور هذه الأية بقوله: معنى حاجّ، خاصم وهو فعل جاء على وزن المفاعلة، ولا يعرف الحِجَاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام، ولا تعرف المادّة الّتي أشتقّ منها ومن العجيب أنّ الحُجَّة في كلام العرب البرهان المصدّق المدعو مع أنّ حاجّ لا يستعمل غالبًا إلاّ في معنى المخاصمة [...] وأنّ الأغلب أنّها تفيد الخصام بباطل[6].

1 عايدة جدوع حنون، محمد ناصر الظالمي، نشأة الحجاج، مجلة آداب البصرة، العدد 72، 2015، ص 11.

2 سورة آل عمران، الآية 66.

3 سورة النساء، الآية 165.

4 سورة البقرة، الآية 111.

5 سورة البقرة، الآية 257.

6 عبد الله صولة، الحِجَاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، ط02، 2007 ،بيروت. لبنان، ص 11.

وجاء أيضًا في شأن لفظة الجدل في تفسير قوله تعالى: ﴿ ***وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ*** [1]﴾. فالمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخِصام والحُجَّة فيه وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك[2].

وقال في موضع المُجادلة والمخاصمة بالقول وإيراد الحُجَّة عليه فتكون في الخير كقوله تعالى: ﴿ ***تُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ*** [3]﴾

كما قد تكون في الشرّ كذلك كقوله تعالى: وَ﴿ ***لا جِدَالَ فِي الْحَجِّ*** ﴾.[5]

إنّ الجامع بين دلالة كلمة الجدل وكلمة الحجاج هو المُخاصمة، غير أنها قائمة في الحِجَاج على الباطل عادة، كما أشار إلى ذلك الطاهر بن عاشور معتمدًا على ما جاء في القرآن، في حين أنّ الجدل منه ما هو حقّ، ومنه ما هو باطل كما يفهم من شاهدي القرآن المذكورين ضمن قول ابن عاشور[4].

أورد الّزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن، وفق الفصل الموسوم بـ: « في معرفة جدل عن البرهان والاستدلال" قوله: فاعلم أنّ القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلّة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليّات المعلومات العقليّة والسّمعيّة إلاّ وكتاب الله تعالى قد نطق بها[5]».

يتضح من المقتبسات السالفة، أنّ لفظة الحِجَاج كثر دورانها في القرآن الكريم، لكن بمعانٍ وتسمياتٍ متعدّدةٍ ومختلفة، فهو مفهوم يراد به تلك العبارات والأساليب التي تروم الإقناع والتّأثير بالبراهين والأدلّة العقليّة والكونيّة وبفضله تمكن المسلمون من الانفتاح على العالم بناء على أصول النّظر السديد .

3.2 الحِجَاج عند العرب القدامى:

1 سورة النساء، الآية 107.

2 عبد الله صولة، المرجع نفسه، ص 11.

3 سورة هود، الآية 74.

5 سورة البقرة ، الآية 197

6 عبد الله صولة، الحِجَاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، المرجع السابق ، ص 11.

5 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج2، ص 24.

لم يكن المخاطب محل اهتمام البلاغة العربيّة القديمة في أول أمر نشأتها كما كان عليه الحال قبلها في البلاغة الأرسطيّة، مما جعل حضور المخاطب فيها لاحقًا عاملاً قويًا في تغير الخطاب البلاغي العربي وعاملاً في بروز بلاغة جديدة عِمادها البيان والحوار والإصغاء إلى الآخر: « وفي هذا الجو الفكري الجديد يظهر الجاحظ مدافعًا عن الحوار وثقافته، محاولاً وضع نظرية لبلاغة الحِجَاج والإقناع يكون مركزها الخطاب اللغوي بكل ما يصاحبه من وسائل إشاريّة ورمزيّة ودلالات لفظيّة وغير لفظيّة، وأساس هذه البلاغة مراعاة أحوال المخاطبين[1].

2-1- الحِجَاج عند الجاحظ:

لقد طَرَق الجاحظ في متون نصوصه الحِجَاج مقترناً بحديثه عن البلاغة، وأورد إحدى مفهوماتها التي يوحي بها إلى أن البلاغة، تتضمن بِنيَّة إقناعية إذ يقول" أول البلاغة اجتماع آليات البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل الحظ، متغير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قوله فضل تعرف في كل طبقة" [2].

يذهب الجاحظ في هذا القول إلى أن النّاس طبقات مختلفة، يجب على الخطيب أن يخاطب كل طبقة بما يستطيع أن يؤثر أو يقنع بها من خلال الوسيلة اللغوية،كما التفت "الجاحظ" في كتابه "البيان والتبيين" إلى الحِجَاج في مواضع عدة منها قوله "قال بعض أهل الهند: جميع البلاغة البَصر بالحُجَّة، والمعرفة بمواضيع الفُرصة، ثم قال؛ ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضيع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذ كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحًا أبلغ في الدرك وأحق بالظفر[3].

يولي الجاحظ الفهم والإفهام أهمية بالغة ، من جهة دورهما في بلوغ الإقناع والظفر به من خلال تعريفه الجامع للبيان حين قال : " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقة ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل لأنّ مدار الأمر، والغاية التي يجري إليها القائل السامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع" [4]

---

1 محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحِجَاج في البلاغة المعاصرة، بحث في النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة، المتحدة، ط1،2008، ص 211.

2 - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط5، ج1،القاهرة، مصر، ص92.

3 - الجاحظ: البيان والتبيين، المرجع نفسه، ص88.

4 - المرجع نفسه، ص،76.

لقد اِهتمّ الجاحظ بالفعل اللّغوي، وعدّه أساس كل عمليّة بيانيّة حجاجيّة، كما كان للحدث الكلامي عنده مكانة عظيمة، فالكلام في نظره لا يمكن تمييزه عن البلاغة، إذ ينهض في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما:

أوّلاً: الوظيفة الخطابية وما كل ما له صلة بها من إلقاء وإقناع واحتجاج ومنازعة ومناظرة.

ثانيا: وظيفة الفهم والإفهام، أو البيان والتبيّين[1].

كما التفت الجاحظ أيضًا إلى مفهوم مقتضيات المقام وما تشمله من أحوال الخطيب وكفاءته اللّغوية وهيئته وصفاته الخلقيّة[2].وعليه يمكن ردُّ وظائف البيان عند الجاحظ إلى ثلاث وظائف أساسيّة:

الوظيفة الإخباريّة المعرفيّة التّعليميّة (حالة حِياد الذات): إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام.

الوظيفة التّأثيريّة (حالة اختلاف) تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.

الوظيفة الحِجَاجِيّة (حالة الخصام) إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والإضطررا[3].

أمّا ابن حزم الأندلسي، الذي اشتهر عنه تعاطى الحِجَاج حيث كان لا يهدأ من السّجال والجدال بالمناظرات إلى الحدّ الذي حمله على أنّ يُناظر كُل شخص يقابله حتّى رفعته هذه الصفة النادرة إلى مقامٍ مميّزٍ، مما جعل نصوصه الفلسفيّة لا تتّخذ صورة إنتاج فلسفيّ منظّم ، بل طغى عليها طابع النّقد والجدال[4].

اهتم ابن حزم بالحجاج في موسوعته الموسومة بـ: ***"الفصل في الملل والأهواء والنحل"***، ولم يكن ممارسًا له على نحو يسير، إذ تظلّ ممارسة للاحتجاج بالأدلّة العقليّة، وذلك الشّرط الأوّل في المتكلّم بل إنّ جذوة الجدل لا تكاد تخبو في ثنايا الفصول العديدة لهذا الكتاب، ولا تخفي حدّتها حتّى لا تكون الأقوال تقريرًا في غير استدلال أو تسليمًا في غير

1 محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحِجَاج في البلاغة المعاصرة، بحث في النقد المعاصر، المرجع السابق، ص 213.

2 المرجع نفسه، ص 214.

3 محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتدادها، المرجع السابق، ص 213.

4 محمد ابن حمو ابن حزم، فارس الحِجَاج في الغرب الإسلامي، ضمن كتاب : التحاجج طبيعته ومجالاته، تنسيق حمو النقاري، ص 127.

احتجاج ولا احتفال بحجّته. فبلاغة ابن حزم الاستدلاليّة من الكفاية بحيث ذهب بالأمر إلى مداه الأقصى، فهو متمكّنٌ من معرفة آراء الخصوم وقوّة حججهم، متمرّسٌ بعقائدهم، مطلعٌ اطلاعا وافيّاً بدقائق الاختلافات.

إنّ ما يمكن ملاحظته من خلال ما ذكر، أنّ ابن حزم كان محاججا بارعاً، حيث توسل بالجدل في أغلب نقاشاته ومناظراته ضدّ خصومه، أمّا " أبا هلال العسكري" فقد حدّ الحِجَاج بما نقله عن محمّد بن الحنفيّة ـ رضيّ الله عنه ـ في تعريفه للبلاغة « البلاغة قول مقفّه في لطف » ثمّ قال: « المقفّه، المفهم واللّطيف من الكلام ما تعطف به القلوب النّافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبيّة المستعصيّة، ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجّة".

وعدّ الحِجَاج السّوفسطائي (المغالطي) أعلى مراتب البلاغة حيث قال : " وإنّما الشّأن في تحسين ما ليس بحسن، وتحسين ما ليس بحسن، وتصحيح ما ليس بصحيح، بضرب من الاحتيال والتخيّل [...] فأعلى رتب البلاغة أن يحتجّ للمذموم حتّى يخرجه في المعرض المحمود، والمحمود حتّى يصيره في صورة المذموم" [1].

كما دافع عبد القاهر الجرجاني عن إعجاز القرآن من خلال سعيه إلى إقناع النّاس بفكرة النّظم بما طبع دلائله بطابعٍ حِجاجيّ واضحٍ، حيث صرّح في مقدّمة كتابه " دلائل الإعجاز " بأن الكلام نظم وإتباعه يحقّق الإقناع بقوله: « وينبغي لكل ذي دين وعقل أن ينظر في الكتاب الذي وضعناه ويستقصي التأمّل لما أودعناه، فإن علم أنّه الطريق إلى البيان والكشف عن الحُجَّة والبرهان، تبع الحذف وأخذ به وإلاّ رأى أنّ له طريقًا غيره أو مآلنا إليه، ودلنا عليه وهيهات ذلك[2]».

يتجلى من كلام عبد القاهر طابعه السجالي من خلال دفاعه عن فكرته وتبكيت خصومه من أصحاب الرأي والعقل حين طلب منهم الإتيان بطريق آخر غير الذي عرضه عليهم مُستبعدا حصول ذلك حين توسل بصيغة المُباعدة التي حملتها كلمة " هيهات".

4.2 حديثا:

إنّ الباحث في الدّراسات العربيّة الحديثة والمتتبّع لها في مجال الحجاج، لا يسعه أن ينكر الآفاق الرحبة التي فتحتها في هذا الحقل، إذ أصبح موضوع الحِجَاج في هذه الدّراسات

1 عايدة جدوع، محمد ناصر الظالم، نشأة الحجاج، المرجع السابق، ص 15.

2 سهيلة بن عبد الحفيظ، الحِجَاج في زهديات أبي العتاهية، إشراف بوزيد ساسي هادف، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، ص 25.

علمًا قائمًا بذاته، حيث قادت اجتهادات الغربيّين في هذا المجال في منتصف القرن الماضي بداية من بيرلمان المفكّرين العرب إلى بلورت موقف حول هذا الدّرس، الضّارب في أعماق تراثهم حيث حاول بعضهم الكشف عن جذوره في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، فيما جنح البعض الآخر إلى استثمار النّظريّات الغربيّة في تحليل الخطابات المختلفة، ومن بين هذه الأعمال نستدلّ ببعض دراسات هؤلاء الباحثين ومنهم :

.2. طه عبد الرّحمن:

لقد تميّزت نظرة طه عبد الرّحمن إلى الحجاج بطابعٍ فلسفي يستند على المنطق، حيث ارتبط الدّرس الحِجَاجِي العربي المعاصر ارتباطًا وثيقًا به، ومن أبرز أعماله كتابه في **"أصول الحوار وتجديد علم الكلام"** و كتابه **"اللسان والميزان أو"التكوثر العقلي"**.

حيث حدّد "طه عبد الرّحمن" الحِجَاج فيهما منطلقًا من مبدأين هما قصد الإدّعاء وقصد الاعتراض على النحو التالي:

1. **قصد الادعاء:** ومقتضاه أنّ المنطوق لا يكون خطابًا حقًا حتى يحصل من النّاطق صريح الاعتقاد لما يقول من نفسه وتمام استعداده لإقامة الدّليل عليه عند الضّرورة.
2. **قصد الاعتراض**: ومقتضاه أنّ المنطوق به لا يكون خطابًا حقًا حتّى يكون للمنطوق له حقّ مطالبة النّاطق بالدّليل على ما يدّعيه[1].

وعليه خلص إلى تعريف الحِجَاج بقوله « حدّ الحِجَاج أنّه كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحقّ له الاعتراض عليها[2]».

يتّضح لنا، بناء على ما تقدم، أنّ الخطاب ليس مجرّد الدّخول في علاقة مع الغير، بل هو الدّخول معه فيها على مقتضى الإدّعاء والاعتراض. مما يؤكّد أنّ ماهية الخطاب تحدّدها العلاقة الاستدلاليّة ، لا العلاقة التخاطبيّة وحدها.« فلا خِطاب بغير حِجَاج، ولا مخاطِب من غير أن يكون له وظيفة المدّعى، ولا مخاطَب من غير أن يكون له وظيفة المعترض[3]».إذ يُثبت هذا الذي تقدم أنّ الحِجَاج هو الأصل في الخطاب إلى جانب العلاقة الاستدلاليّة. حيث أفضى ذلك بصاحبه إلى تقسيم الحِجَاج إلى ثلاثة أنواع:

---

1 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي، المرجع السابق ص 225.

2 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي، المرجع السابق، ص 226.

3 طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أوالتكوثر العقلي ، المرجع السابق، ص 226.

1. **الحجاج التّجريدي**: هو الإتيان بالدّليل على الدّعوى على طريقة أهل البرهان، علمًا أنّ البرهان والاستدلال الّذي يُعني بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النّظَر عن مضامينها واستعمالاتها.
2. **الحجاج التّوجيهي**: هو إقامة الدّليل على الدّعوى بالبناء على فعل التّوجيه الّذي يأتى به المستدلّ، علمًا بأنّ التّوجيه هو فعل إيصال المستدل بحجّته إلى غيره.
3. **الحِجَاج التّقويمي:** هو إثبات الدّعوى بالاستناد إلى قدرة المستدلّ على أن يجرّد من نفسه ذاتًا ينزلها منزلة المعترض على دعواه، حيث لا يكتفي المستدلّ بالنّظر في فعل إلقاء حجّة إلى المخاطب[1].

لقد أنشأ **طه عبد الرحمن** في كتابه **" أصول الحوار وتجديد الكلام "** نموذجًا نظريًا للحواريّة حيث صنف الخطاب وجعله مراتب ثلاثة (الحوار- التّحاور- المحاورة)، إذ تشترك جميعًا في كونها فعاليّات خطابيّة، حيث يقول بخصوص هذا « أعلم أنّ المراتب الحواريّة تشترك جميعًا في كونها فعاليّات خطابيّة[2]».

3. أبوبكر العزّاوي:

يتجلى اسهام العزاوي في الدّرس الحِجَاجِي العربي الحديث من خلال مجموعة من الكتب والمقالات الّتي ألفها لعل أهمّها: كتاب **"الخطاب والحجاج"**، وكتاب **"اللّغة والحجاج"**.حيث انطلق العزّاوي في أبحاثه من مبدأ عام « هو لا تواصل من غير حجاج» و« لا حجاج من غير تواصل[3]». مُعدّلاً بذلك مقولة طه عبد الرحمن وموسّعًا فيها .

اهتمّ أبوبكر العزّاوي بدراسة الحِجَاج في مستوياته المختلفة، سواء على مستوى الخطاب القرآني، أو الخطاب الإشهاري أو غيرها من المدونات. كما قدم مفاهيم لمصطلحات الحِجَاج اللّغوي؛ من قبيل الرّوابط والعوامل الحِجَاجِيّة و مفهوم التوجيهر والسّلّم الحجاجي.

4 صلاح فضل :

يُعدّ صلاح فضل أحد ممثّلي المدرسة المصريّة، فهو أوّل باحث عربي مُعاصر اهتمَّ ببحوث البلاغة المعاصرة والحجاج حيث عُنى على وجه الخصوص بإسهامات الرائد " بيرلمان" كما يعدّ أوّل من أشار إلى الرّوافد المعرفيّة للحِجَاج في المجالات الفلسفيّة والعلميّة

1 طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أوالتكوثر العقلي، المرجع السابق، ص ص 226- 228.

2 طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2000، ص 66.

3 أبوبكر العزاوي، الخطاب والحجاج، المرجع السابق، ص 106.

من قبيل؛ الذّكاء الاصطناعي وعلم اجتماع المعرفة، فضلاً عن طرافة التصوّر الّذي قدّمه للرّبط بين البلاغة وعلم النصّ[1].

إنّ النّاظر إلى حركة البحث في البلاغة المعاصرة في صلب المدرسة المصريّة سيجد أنّ كتاب **"بلاغة الخطاب وعلم النص"** لصلاح فضل من بواكر المصنّفات في حقل الدّراسات النّقديّة العربيّة المعاصرة الّتي تناولت "بلاغة الحجاج". فالبلاغة المعاصرة قد انفتحت على المعارف بفضل التّداخل المعرفي[2].

يقدّم صلاح فضل الأفكار الّتي يطرحها أصحاب النّظريّة الحجاجيّة، ويبين لنا في الوقت نفسه روافدها المعرفيّة وآرائها الفنيّة، إلاّ أنّه يمكن القول إنّ أبرز الإضافات الّتي قدّمها هي تمييزه بين البحثين البلاغي والأسلوبي، وتوسيعه دائرة البلاغة المعاصرة[3].

كما يؤكد أنّ المباحث الجديدة؛ أي مباحث الذّكاء الاصطناعي الّذي يوفّر للباحثين وخاصّة في مجالات اللّغة والبلاغة والحجاج، معلومات مهمّة تمكّنهم من إدراك أبنيّة المعارف التي يمتلكها كلاً من المتكلّم والمتلقّي، كي يستطيع بحث كيفيّة تعديلها طبقًا للبيانات الجديدة الّتي تتيحها لهم النّصوص.

لقد أفلح صلاح فضل؛ في توسيع دائرة البلاغة المعاصرة، وقدّم للقارئ العربي قراءة واعية وصورة جليّة عن مداخل نظر عديدة فتحتها البلاغة واتّجاهاتها على وجه العموم والحجاجيّة على وجه الخصوص.

5. محمد العمري:

لقد ركّز محمد العمري في كتابه **" في بلاغة الإقناع "** على تاريخ الخطاب وبلاغة الإقناع، حيث سعى إلى تطبيق التصوّر الغربي مستنداً على نظريّة الإقناع عند **أرسطو**، حيث اعتمد على الأسس الأرسطيّة لبلاغة الخطاب أو الخطاب عمومًا لاسِيَّمَا الحِجَاج والبراهين الخطابيّة. مما أفضى به إلى تصنيف المقامات على النحو التالي:

1 محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحِجَاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، المرجع السابق، ص 16.

2 محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحِجَاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، المرجع السابق، ص 226.

3 المرجع نفسه، ص 235.

1/ مقامات الخطابة الدّينية: ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أصناف تبعا للمتلقّي، ووفق الرّسائل الموجّهة إليه، فهو:

إمّا أن يكون خالي الذّهن يتقبّل المعرفة الملقاة إليه، حيث يقتضى ذلك خطابة تعليميّة.

وإمّا أن يكون متناسيًّا لما يعلم غافلاً كما ينتظر، فتتطلّب حالة البحث على العمل والتّخويف، وتلك هي الخطابة الوعظيّة.

وإمّا أن يكون عالمًا مخالفًا وجاحد الوجه، في نظر الخطيب، وفي هذه الحالة لابدّ من المُحَاجَّة والبرهنة، وتلك الخطابة الحجاجيّة[1].

2/ **مقامات الخطابة السّياسيّة**: ويندرّج في الخطابة السّياسيّة كل حوارٍ في القضايا التي تهم تسيير الحياة المدنية للناس والدول.

يشير محمد العمري إلى زيادة الاهتمام بالحجاج وكثرت الحاجة إليه في فترة الشواغل الكلاميّة، حين صار التسلّح بالمسائل الحِجَاجِيّة البلاغيّة اللّغويّة أمرًا ضروريًا للدّفاع بها ضد مزاعم المشبّهين لنصّ القرآن الكريم من جهة، ولمقارعة الفرضيّات المضادة الّتي يقدّمها الخصوم من جهة أخرى. ويعرض عن الحديث عن الأبعاد التداوليّة في البلاغة العربيّة القديمة إلى ذكر مجموعة من أفكار القدماء، وجهودهم، مما يدلّ على هذه الأبعاد من مثل ما كشفه الجرجاني والسّكاكي.

وحاصل القول إنّ محمد العمري قد عمل على تصنيف المقامات إلى مقامات الخطابة الدينيّة، ومقامات الخطابة السّياسيّة، ومقامات الخطابة الاجتماعية وشؤون الحياة، فقد تأثّر بنظريّة الإقناع الأرسطية حيث اعتمد على أسسها وطبق مناهج هذا الأخير في تحليلاته الخطابيّة.

1 محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، المرجع السابق، ص 40.

المحاضرة 04 :

بلاغة الحِجَاج والإقناع

تمهيد :

يُعدّ الإقناع عمليّة فكريّة ومنطقية ونفسيّة، يحاول فيها أحد طرفين التواصل التّأثير على الآخر، وإخضاعه لفكرة ما قصد استمالته نحوها، فهو ركيزة من ركائز الحِجَاج غايته التّأثير العقلي والعاطفي في المتلقّي والجمهور عن طريق التوسل بالحجج والبراهين المثبتة.

إنّ السعي إلى فصل الحِجَاج عن غرضه الإقناعي هو سعي في الحقيقة عسير المنال بسبب التلازم الحاصل بين المفهومين كون فعل المُحَاجَّة لا يُعقد إلا لتحصيل مقاصد تأثيرية أو الزيادة فيها ،كما تقدم بيانه في المحاضرات السابقة، حيث لا يكون ذلك في الغالب الأعم إلا بالتوسل بطرائق مخصوصة من خلال تسخير الآليات اللغوية والبلاغية والمنطقية قصد بناء الخطاب الحِجَاجِي بناء مُحمكاً حتى يظفر بمقاصده المنشودة.

ولعل هذا التصوّر التلازمي هو ما دفع بلنجير أن يجعل من الحِجَاج ممارسة نفسية ومنطقية في الآن نفسه تؤطرها ثقافة معينة وتوجهها الرغبة في التفاعل مع "الممارسة-النفسية-المنطقية" للشركاء المعنيين. إذ يسوغ بناء على هذا المنظور أن نفهم الإلحاح على ضرورة التأثير بتسخير أساليب مختلفة ينهض السياق فيها بتحديد طبيعتها حيث يجعلها تارة تنزع إلى توضيح بعض مظاهر الأشياء، وتارة أخرى إلى حجب مظاهر أخرى وتارة إلى اقتراح مظاهر جديدة لم تكن مطروحة سلفًا.

ينقلنا هذا التنوع إلى تصوّر أوسع للحِجَاج بوصفه محاولة تعديل أو تحويل أو تقوية منظور مُحددٍ باللجوء إلى اللغة وما تتيحه من إمكانات تعبيرية عديدة. على أن الأمر لا يقف عند حدود محاولة الإقناع بمنظور محدِد فحسب، بل يتخطاه ليشمل محاولة الإقناع بطرائق التفكير، وبطبيعة الإحساس أيضا.

تُدرج الأدبيات المشتغلة بالحجاج هذا الأخير في إطار فئة الأفعال الإنسانية التي تروم الإقناع والاستمالة، كما قد تتخطى مراميها إلى توجيه المخاطب نحو الفعل، وذلك عبر توجيه رؤيته للأشياء، لذلك نراه يستمد خصوصيته من تفعيل التعليل في الوضع التواصلي . *وعليه كان « الإقناع هو التّواصل لغاية تغيير سلوك أو موقف»*[1]*. كما وصفه " **أوليفي روبول** " بقوله: «هو دفع أحد ما إلى الاعتقاد بشيء ما»* [2].

إنّ فاعل الحِجَاج لا يرى في المخاطب موضوعا للتطويع(manipulation) بالقدر الذي يرى فيه الأنا الآخر(alter ego) الذي ينبغي أن يتقاسم معه رؤية مشتركة وهو التصوّر الذي ركن إليه بلونتين حين عرّف الحِجَاج على أنه العملية التي يسعى من خلالها المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصوّرات لدى مخاطبه بتسخير الوسائل اللغوية.

1. الإقناع:

1.1.لغة:

1 حسن المودن، بلاغة الخطاب الاقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية، ط01، الأردن، 2014،، ص 22.

2 المرجع نفسه،ص 24.

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس الإقناع هو: الإقبال بالوجه على الشيء يقال: أقنع له يقنع إقناعا، وأنه مد اليد عند الدعاء، وسمِّي بذلك عند إقباله على الجهة التي يمدُّ يده إليها [1].

وورد في لسان العرب لابن منظور: قنع (بالكسر) قنوعا والمقنع (بفتح الميم) العدل من الشهود، يقال فلان شاهد مقنع؛ أي رضا يقنع به، وأقنعه الشيء، أي أرضاه وأقنعني كذا أي أرضاني[2].

كما يرجع أصل كلمة الإقناع في اللّغة العربية كذلك إلى الجذر (ق. ن.ع)، حيث يقال أقنع الرجل يديه في القنوت؛ أي رفعهما مُسترحماً ربّه مستقبلا بها وجهه للدعاء، كما وردت في الحديث تقنع يديك في الدعاء أي ترفعهما. أمّا المقابل الأجنبي لها فهي كلمة (persuasion)ذات الأصل اللاتيني الّتي تتكون من مقطعين (per) وتعني عاطفي أو انفصالي، و(suadre) الّتي معناها الحث والحض؛ أي أنّ تجعل شخصاً ما يفعل أو يعتقد شيئا ما من خلال الحث العاطفي أو العقلي.

2.1. اصطلاحا:

أمّا في الاصطلاح فيراد به تلك الظّاهرة اللّسانية المنطقية ذات الصلة الوثيقة بالفعل التأثيري الّذي يتكئ على الكفاية التّداولية بغية تحصيل المقاصد الجوهرية لمُنشئ الفعل الحجاجي، لأنّ الإجراء المقصدي التأثيري يبدو هامًا في تعيين المعنى بما هو ضابطٌ له عن طريق؛

1. توضيح الحُجج.
2. كشف القضايا.
3. دفع اللَبس وإبعاده.

إنّ جوهر الفعالية الحِجَاجِيّة إذاً، هو إنشاء رابطة مُقنعة بين قولين (قانون العبور)، وعليه كان اعتماد النصّ الحِجَاجِي على بِنيَّة أساسية عند عالم المنطق هي بِنيَّة القياس المنطقي اعتمادا كبيرا، كما يرتبط الإقناع كذلك بالدحض والتفنيد، إذا عددنا أنّ موقف المُفندِ هو موقف المُدّعي المُنكر، من جهة أنّ الإقناع بصحة خطاب أو قضية ما، تعني فيما تعنيه الاعتراض على خطاب آخر أو التشكيك فيه ثم بيان زيفه وتهافته . فالغاية القصوى التي يجرى الحِجَاج إليها ، كما ذهبت إلى ذلك جُلّ المذاهب والمقاربات؛ « هي إحداث التأثير العملي الّذي يُمَهد له التأثير الذهني [3]» .

1 - أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون دار الفكر، د ط، ج5: 1979 ص33 مادة (ق ن ع).
2 - ابن منظور، لسان العرب، مج 2ص297 (مادة ق ن ع).
3 - ينظر : عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الضفاف، بيروت لبنان، ط1، 2013.

إنّ مطلب الخطاب الحِجَاجِي هو سيادة سُلطان الدّليل بين العارض والمعترض(طالب الدليل)، كما قد يتوجه الخطاب الحِجَاجِي من جهة التلقي إلى جُمهور كونيّ كُليّ، حيث ينشد بذلك العقلانية في مُخاطبته العقل الإنساني مُعولاً على حُجيّته، وعلى كونه أعدل قِسمة بين الناس بعبارة ديكارت، ومن جهة التشارك التفاعلي الذي يحصل بطلب مُشاركة الغير في اعتقاد الفكرة المعروضة عليهم بوصفها مدار العملية الاستدلالية بينهما.

وبعبارة أخرى، فإنّ الحِجَاج يتعالق بالمنطق الطبيعي من جهة كونه فعالية لغوية عقلانية غايتها إقناع المعترض العاقل (طالب الدليل) بمقبولية رأي من الآراء ومعقوليته، وذلك عبر تقديم مجموعة من القضايا مشفوعة بنسقها الاستدلالي. أما علاقته بالوجه المعرفي؛ فتتجلى في تتبع طرائق الاستدلال في العلوم والمعارف الّتي تتوسّل باللغة الطبيعية والإجراءات الخطابية حيث تمتزج مادة الدّليل بصورته، وتمتزج الشُحنة المعرفية الابستيمية للمقطع الحِجَاجِي بالصيغة التعبيرية للهيكل القولي الحامل له.

لا تقتصر صلاحية الحُجَّة والدّليل في صياغة القضايا على صُورتها فحسب، بل قد يُصاغ الدّليل في جُملٍ إنشائية وهو ما اصطلح عليه ابن تيمية قديما بالدليل الإنشائي، الذي يُذكر فيه الدليل في صيغة استفهام الإنكار لبيان بديهية القضية وفطريتها واستقرارها في النفوس من قبيل ما ورد في الاستدلالات القرآنية ؛ (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)[1]، حيث يختلف الدليل الإنشائي اختلافا بيّنًا عن صياغة الدليل في القياسات البرهانية لاقتصار هذه الأخيرة على جعل الخبر صيغتها الوحيدة، إذ لا يظل الفعل الكلامي الخبري ـ على حد تعبير عبد الهادي بن ظافر الشهري ـ الفعلَ الكلامي الوحيد لإنجاز الخطاب الحِجاجي، بخلاف المنطق الصوري الّذي يقتصر على الصياغة الخبرية دون أن يتعداها.

يرى القرطاجي أن الإقناع هو العملية التي بها يؤثر الخطاب في مواقف الإنسان وسلوكه دون إكراه أو قسر[2]. حيث يتبين لنا مما سلف أن الإقناع سلطة عند الخطاب في خطابه ولكنها سلطة مقبولة إن استطاعت أن تقنع المخاطب، إذ لا تتحقق إستراتيجية الإقناع تجاهها إلا متى وقع التسليم بمقتضاها إما قولاً أو فعلاً.

2. الحجاج والإقناع:

يواشج مُصطلح الإقناع مصطلح الحِجَاج حدّ التداخل وذلك أن أحدهما مفاده غلبة الآخر والثاني هو وسيلة أو آلية الأول التي يتوسل بها لبلوغ غايته، إذ يمكن توضيح ذلك بالقول إنّ

1 سورة الطور، الآية رقم 35.
2 - ابن عيسى بلطا هر، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، الدار البيضاء، ط1، بيروت، لبنان 2000 ص21 .

غاية الحِجَاج هو الإقناع وهذا يعني أن قضية الإقناع لا تتحدد في ذاتها إنّما هي رهينة بمدى نجاعة الحِجاج.

إنّ مكمن نجاعة الحِجَاج في السعى إلى إقناع الطرف المعروض عليه بمضمون ما يطرحه الطرف الأول في العملية الحجاجية؛ أي مدى وصول الخطاب إلى ذهن المتلقي ونفاذه إليه، فالحجاج هو من أظهر آليات الإقناع إذ لا يقف عند حدّ إفهام المتلقي فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى غرضه التداولي وهو تحصيل الإقناع والظفر به.

كما أن الحِجَاج انتقائي باعتبار الأهداف المنشودة إذ يقع الاعتماد فيه على التدعيم الملائم وعلى الحجج الدامغة، و الأدلة القاطعة،والبراهين الساطعة حين يختار المتكلم كل العناصر التي من شأنها أن تزيد في قوة إقناع المستمع بغرض دفعه لفعل مُعين أو لتغيير سلوك أو معتقد ما.وعليه كان الحِجَاج والإقناع صنوان لعملية واحدة إذ لا اختلاف بينهما إلا في درجة التوكيد.

وعليه، فقد انطلق أفلاطون قديما في المقطع الأوّل من محاورته مع سقراط من تقسيم "الإقناع " إلى نوعين: « **إقناع يعتمد العلم،** وإقناع يعتمد الظّن، [...] ليخلص إلى أنّ العلم يقوم على مبادئ ثابتة وأزليّة، فكان بذلك الإقناع المعتمد عليه مفيدًا للإنسان. **أمّا الإقناع المعتمد** على الظّن القائم على الممكن والمحتمل فهو ينشئ لدى الإنسان اعتقاداً، ولا يُكسِبه معرفة»[1].

كما ذهب ابن رشد ، في أعقاب أرسطو ، إلى القول**:** « إنّ طباع النّاس متفاضلة في التّصديق، فمنهم من يصدّق بالبرهان، ومنهم من يصدّق بالأقاويل الجدليّة، تصديق صاحب البرهان بالبرهان، إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك، ومنهم من يصدّق بالأقاويل الخطابيّة، كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية»[2]. حيث اصطلح عليه في كتابه في "فصل المقال" بمصطلح **" التّصديق** " وهو مصطلح يدل على الإقناع العقلي الذي يتوسل بالحُجّة والبرهان.

وجاءت البلاغة الجديدة لتميّز بين **الإقناع والاقتناع،** حين تحديدها مفهوم الإقناع، فكان الاقتناع في تصوّرها أهمّ من الإقناع عند من يهتم بالطّابع العقلاني لانخراط المخاطب حيث أقام **" بيرلمان"** و" **تيتيكاه** " مقابلة بين **الاقتناع** (La conviction) و**الحمل على الإقناع**. فالاقتناع يكون من المرء من تلقاء نفسه أما الحمل على الإقناع فيكون من قبل

1 عبد العالي قادة، بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر، ط 1، 2016، ص ص 52.53.

2 كريمة أحسن شعبان، الاتصال الخطابي وفن الإقناع، المرجع السابق، ص 117.

الغير، ولهذا كان **"شانييه"**(Chagnet) يقول: « إنّ المرء في حالة الاقتناع قد أقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة، أمّا في حالة حمله على الإقناع فإنّ الغير هم الّذين يقنعونه»[1].

كما جَنح السّيمائيّون إلى تعريفه بقولهم: « إنّه أحد أشكال الفعل الإدراكي وهو يتعلّق بمقام التّلفّظ، ويتجلّى في استدعاء المتلفّظ لكلّ أنواع الصيّاغة والطّرق الّتي تهدف إلى أن يكون التّواصل فعّالاً ويقبل المتلفّظ إليه التّعاقد أو التّفاهم التّلفّظي المقترح»[2].

كما وظف طه عبد الرحمن مصطلح الإقناعية في معرض تحليل طبيعة المشاركة الحاورية وسلوك القائم بالإقناع حيث يقول: " عندما يطالب المحاور غيره بمشاركة اعتقاده، فإنّ مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، و لاتدرج على منهج القمع، و إنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية كتنوعة تجرّ الغير جراً إلى الاقتناع برأي المحاور"[3]

في مقابل ذلك، يُنظر إلى الإقناع في تحليل الخطاب: « على أنّه نتاج سيرورات عامة من التّأثير، فالخطاب الإقناعي هو خطاب بناؤه بقصد الإقناع أي بقصد التّواصل والتّفسير وإضفاء المشروعيّة على وجهة نظر ما واقتسامها إن لم يكن القصد إقصاء خطابات منافسة من أجل الهيمنة»[4].

نخلص من خلال المفاهيم السّالف إلى أن قِوام الإقناع على شقّين ، أوّلهما، شقّ المعرفة العقليّة، حيث يسهل توفيرها لمن يُرادإقناعه من خلال سرد الأدّلة الّتي يجب أن تكون واضحة. والشقّ الثّاني، وهو القَبول القلبي حيث تكون النّتيجة المنطقيّة الّتي اطمأنّ لها القلب مصدر إقناع.

كما أنّ قضيّة الإقناع لا تتحدّد في ذاتها وإنّما هي رهان يؤسّس قاعدة الحِجَاج داخل اقتضاءات مجاليّة متنوّعة، يتمتّع فيها المتخاطبون بقسم كبير من الحريّة، وإذا لم تتوفّر الحريّة، فإنّ ما يطرحه ويدافع عنه النّاس لن يكون سوى قولٌ نظريٌ خالص وفارغ من سلطة الإقناع[5]».

---

1 عبد الله صولة، الحِجَاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، المرجع السابق ، ص 31،32. بتصرف.

2 حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب،المرجع السابق، ص 22.

3 طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام،المرجع السابق، ص38.

4 المرجع نفسه ، ص 22.

5 عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحِجَاج، إفريقيا الشرق، د.ط، المغرب، 2006، ص 22.

إنّ الإقناع هو بؤرة العمليّة الحجاجيّة، حيث لا يسعى المُحَاجِج إلى إبراز قوّته اللّغويّة أو إفهام المتلقّي فحسب، بل غايته القصوى إقناع المتلقّي بما يحمله من أفكار، وما يعرضه عليه من مواقف وإغرائه بهذه الأفكار وتلك المواقف. ليحدث في نهاية المطاف أثرًا واضحًا في المتلقّي ويحقق هذا التّغيير أو التبدّل في أفكار المتلقّي ومواقفه حيث تُعدّ علامة نجاح الخطاب الإقناعي، ووجاهة الحُجج المعتمد أو النّتيجة المتوقّعة لخطاب ناجح وحجاج وجيه ناجح[1].

لا يخرج دور الحِجَاج في الأخير عن الإقناع لأنّه طريقة تقود الإنسان إلى تحقيق رغباته المختلفة فالإقناع غاية الحِجَاج ومُنتهاه إذ يعتبر جوهر العمليّة الحجاجيّة.

المحاضرة 05 :

الحِجَاج وتقنيات التأثير

تمهيد:

كَثُر الحديث عن الحِجَاج و عن نجاعته في مقاربة مختلف الخطابات العلميّة والإنسانيّة والثقافيّة، كما تناولته بالتحليل والدّرس والمعالجة دراسات وأبحاث وكتب ومقالات يَشُق حصرها، إذ أصبح في أعقاب ذلك موضوعًا لافتا للانتباه بسبب حضوره الكلي أو الجزئي في مجموعة من الخطابات، سواء كانت فلسفية أو قضائية أم أدبية أم سياسية وغيرها، ودلالة ذلك أن عصرنا هو عصر الحِجَاج والجدال والإقناع والتأثير والحوار لاسِيَّمَا مع تطور الحاصل في وسائل الإعلام.

وما فتئت الحاجة الماسة تزداد إليه بعد أن كثر في عصرنا الخِلاف والإكراه والعنف والتطويع والتعصب ، لأنّ الحِجَاج سبيل العقل والمنطق، ومسلك رفع الخِلاف عن طريق الحوار والجدال الحسن، بناء على ذلك، أضحى الحِجَاج أداة مناقشة الأفكار مهما كانت طبيعتها ، و آلية ذات بالٍ في محاورة

1 سامية دريدي، الحِجَاج في الشعر العربي القديم بنيّته وأساليبه،عالم الكتب الحديث،ط2،أربد، الأردن،2007،ص 35.

الأطراف المشاركة في عملية التواصل، إذ الغرض من كل ذلك هو التأثير أو الاقناع أو الحوار، أو مناقشة الآراء المعروضة بالتشكيك في صحتها أو معارضتها أو تأييدها أو اقتراح أفكار بديلة قصد الظفر بجواب مقنع للأسئلة التي هي محل نقاشٍ بين المفكرين والعلماء ، ويكون ذلك بتسخير تقنياتٍ حجاجيةٍ تروم التأثير في المتلقي أو في نظرته إلى تلك القضية مما يفضي بنا إلى طرح الإشكال التالي: ما تقنيات الحِجَاج وما الوسائل التي عليها قِوامه؟

1. تقنيات الحجاج:

تقتضى العملية الحِجَاجِيّة بغية ترسيخ الخطاب في جمهور المتلقين و النفاذ إليهم جُملة من الآليات كما تستدعي جملة من الوسائط الإقناعية كذلك، بما أن التقنيات الحِجَاجِيّة كيانات مجردة يشغلُها المُحَاجِج بعلمه من الحقائق حتى تصبح فاعلة في الخطاب حيت توجِّه حركته الحِجَاجِيّة ، والخطاب في الحِجَاج يعتمد على تقنيات مخصوصة تختص بمجال من المجالات دون غيرها، إذ تنقسم إلى فئتين وفق تصوّر بيرلمان وتيتكا، منها ما يخص تقنيات الحِجَاج اللغوية على هذا النحو:

أ. **طرائق الوصل:**

يُراد بها تلك الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة المتباعدة في الأصل، وتقوم بتوحيدها بُغية تنظيمها؛ أي إبرازها في هيكل أو بِنيَّة واضحة بغية تقوّيم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما ايجابيا أو سلبيا [1].

ب. **طرائق الفصل:**

هي تلك الطرائق القائمة على الفصل بين المفاهيم والمعطيات مما يلزم منه توليد حقائق جديدة ينشئها الحِجَاج بمفعول ما أجراه على تلك المعطيات وما مارسه على تلك القيّم من فصل تتحكم مقولتها الظاهرة والحقيقة، "وهي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تُعدّ كلُاً واحدًا أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها"[2].

وبناء على ما تقدم، يمكن رصد التقنيات الحِجَاجِيّة كما يلي:

1 - الأدوات (الآليات) اللغوية : وتشمل هذه الأدوات على كل الوسائل اللّغوية التي من شأنها تحقيق الإقناع كألفاظ التعليل والأفعال اللغوية، والوصف، حيث تسهم هذه الأدوات بشكل فعال في العملية الحِجَاجِيّة من خلال توجيه وربط الحُجج بعضها ببعض وتأكيدها، وهذا ما يجعل الخطاب أقوى من الناحية الإقناعية، وتعُدّ ألفاظ التعليل من الأدوات اللغوية التي يتوسل بها المتكلم في تركيب خطابه الحِجَاجِي وبناء حُجَجه فيه، حيث تُساق لتبرير الفعل أو القضية المطروحة وتعليليها، فاستخدامها يتوقف على حاجة المتكلم إلى التعليل والتأثير، وتبعا لذلك تسهم في جعل الخطاب أكثر إقناعا لأنّ الخطاب

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.لبنان، الطبعة 1، 2004، ص: 477. بتصرف

2 - المرجع نفسه، ص 477.

يكون مُدعما بالحجج المؤيّدة والمعللة للنتائج المحصل عليها، وبهذا يكون لهذه الألفاظ دور هام في العملية الإقناعية"[1].

2. الآليات البلاغية:

يندرج في هذا الجزء كل الأدوات والأساليب البلاغية التي من شأنها أن تدفع بمتلقى الخطاب إلى الإقناع وذلك لكون هذه الأدوات البلاغية في حدّ ذاتها حُجج تزيد من درجة الإذعان في صلب الخطاب من خلال ما توفره من قيمة جمالية وطاقة إقناعية قادرة على التأثير في المتلقي، فالصور البلاغية تنهض بدور حجاجي لا يستهان به في العملية الإقناعية، وقد سبق وأن أشرنا إلى علاقة الحِجَاج بالبلاغة، فالحجاج يتوسل بكل الأدوات والأساليب البلاغية بوصفها وسائل حجاجية قصد تحقيق أهدافه وغاياته الإقناعية، ومن تلك الآليات البلاغية نذكر الاستعارة والتشبيه والكناية والتمثيل والسجع، والطباق، والتكرار المحمول على التوكيد، وتوظيف الأساليب الإنشائية كالاستفهام والشرط والقصر وغيرها.

يحسن أن نشير في هذا الموضع إلى أن الأدوات البلاغية تنهض بدور مهم في الإقناع، إذ إنّها تعدّ من الوسائل الحِجَاجِيّة التي لها طاقة حجاجية وقوة إقناعية كبيرة في إقناع المتلقي بأسلوب بلاغي مما يساعد المتكلم في تحريك وجدان المتلقي واستمالته.

3. الآليات شبه المنطقية:

إنّ الآليات شبه المنطقية لها علاقة وطيدة بقضية السُلم الحِجَاجِي ومراتبه، وقضية الروابط الحِجَاجِيّة من قبيل : لكن، حتى، فضلا، عن، ليس، كذا، فحسب، يضاف إليها أدوات التوكيد ودرجات التوكيد والإحصاءات، وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية مثل التعدية بأفعال التفضيل والقياس وصيغ المبالغة"[2].

4الوسائل الأصولية والفلسفية:

.1.4. القياس(analogie): أطلق طه عبد الرحمان في كتابه في أصول الحوار وتجديد الكلام مصطلح القياس وأصطلح عليه بمصطلح "الاستدلال الخطابي" فالقياس "فعالية استدلالية خطابية"[3]. ووسيلة حجاجية يعتمد عليها المُحَاجِج بغية تدعيم الطاقة الحِجَاجِيّة لخاطبه، ليصبح أكثر نجاعة وإقناعاً. وعليه "فإنّ الاستدلال القياسي يحتوي على الآليات التي يتوالد بها كل خطاب طبيعي وتتكاثر بها أجزاؤه، وتتماسك فيما بينها"[4].

تكمن فعالية الاستدلال القياسي في ربط أجزاء الخطاب وفي إعطاء الخطاب حقه من الإقناع حيث "يستمد مسلماته، وفيه يبني عملياته وبه يربط قواعد[...] ذلك اختص بصفات تداولية منطقية

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، المرجع السابق، ص481-482.
2 - المرجع السابق، ص 477.
3 - طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد الكلام، المرجع السابق،، ص98.
4 - المرجع نفسه، ص115.

متفردة تجعل الآليات القياسية لا ينحصر عملها في قطاع فكري معين، وإنّما يشمل كل خطاب طبيعي أيّا كانت لغته، وأيّا كان مجاله وأيّا كان مستواه"[1]. يترتب على ذلك تنوع الأقيسة تبعاً لتنوع النصوص الحجاجية.

وقد تُذكر جميع أركان القياس من مقدمة كبرى وصغرى ونتيجة، كما قد تُطوى بعض أركانه تعويلا على معرفة المعروض عليه بها، فغاية القياس هو تتبع طريقة ربط مكونات الحِجَاج من المقدمة إلى النتيجة.

2.4. التمثيل: وفيه تعقد "الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاحتجاج، وبيان الحُجَّة"[2] إذ يتقاطع القياس مع التشبيه في العناصر، وذلك في كون القياس "إظهار لوجود شبه بين الشيئين"[3]. فالتشبيه: هوالبِنيَّة الأساسية التي عليها قِوام الاستعارة، فقد كان ابن الأثير يُعد الاستعارة جزءا منه والتشبيه "هو الجمع بين الشيئين، أو بين الأشياء بمعنى ما بواسطة كاف ونحوها"[4].

5.الوسائل البلاغية:

تكمن ميّزة الكلام بين اثنين في التخاطب مع وجود نية التأثير بصور مختلفة، "واللغات تتفاضل في حقيقتها ووجودها بالبيان، وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقوى إلى القَبول وأدعى إلى التأثير، في صورتها وأجراس كلامها بعذوبة النطق، وسهولة اللفظ والإلقاء، والخفة على السمع وإن للغة العربية من هذه المميزات، الميزان الراجح، والجواد القارح، يعرض ذلك من أخذها بحق، وجرى فيها على عرق، فكان من مفرداتها على علم وضرب في أساليبها بسهم"[5]

ومقصد هذا الكلام أن الحاذق في استعمال اللغة بفنونها، يُبلغ أغراضه للسامع من خلال تسخير ما تتيحه اللغة من تشبيه واستعارة وكناية و مجاز وعذوبة اللفظ قصد الظفر بقَبول السامع .

نخلص في ختام هذا المحاضرة، إلى أن الحِجَاج يصطبغ تبعاً لحقل تقنياته ووسائله، فيساهم بذلك في التأثير في المتلقي وإقناعه، وذلك بتسخير هذه الحُجج والبراهين التي يشفع بها العارض(المُحاجج) الأطروحة ويسندها قصد التأثير في المتلقي.

1 - المرجع نفسه، ص140.
2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، المرجع السابق، ص497.
3 - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، المرجع السابق، ص99.
4 - يحيي بن حمزة العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب، خديوية، القاهرة، ط1، 1914، ص263.
5 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، المقدمة، ص01.

المحاضرة 06 :

الحِجَاج وبنيّة الخطاب

تمهيد:

يحيل المضمون التصوّري لمصطلح الخطاب على أنواع مختلفة من الرؤى باختلاف أشكال التواصل والتفاعل أخذا وعطاء بين الأنساق، وما يترتب عليه من تأثير كبير في تحديد الآليات التعبيرية الملائمة لكل شكلٍ، حيث أخذ الخطاب الشفوي يفرض نفسه في عصرنا كما لو أنه إنتاج فني أو أدبي في خدمة أهدافه النفعية في استعمال اللغة، إذ استمد أهميته الحضارية من هذه الجهة،حين نهض بدور لا يستهان به في التأثير على النفوس والعقول معًا، مما يحاصر المتلقي فلا يترك له منفذاً غير التنفيذ، والحاجة الملحة لهذا الشفهي في المجتمع ودوره الفعّال في نشر ما له صلة بالتوعية وصناعة الرأي عن طرق فلسفة الموقف، وتحديده لأنجع الطرق والوسائل. لصنع وإيصال الرسائل الممكنة، تبعاً لقوة الحِجَاج المقنع للجمهور، فما مفهوم للخطاب؟ إذاً، ما الخطاب؟ وكيف نستطيع التعامل مع الخطاب في ضوء المقاربة الحجاجية؟

1. مفهوم الخطاب:

إنّ للخطاب مفهومان: بسيط غير مركب، مبثوث في متون معاجم اللغة. كما وورد في مدونة القرآن ونصوص السنة النبوية الشريفة، ثم يعقبه المفهوم الثاني، وهو على خلاف الأول، معاصر مركب ذو طبيعة تتعدى الدلالة اللغوية إلى المضامين الفلسفية والتصوّرات المعرفية.

جاء في لسان العرب لابن منظور: المخاطبة، المحاورة أو مراجعة الكلام والخطاب كما قيل هو الكلام الذي يقصد به المفهام. لمن هو أهل لذلك، فعلى المستوى القرآني نجد مادة خَطَبَ: واشتقاقاتها وردت تسعُ مرات وكلمة خطاب وردت في آيات ثلاثة: **{رَبُّ السَمَوَاتِ والأَرْضِ. ومَا بَيْنَهُمَا. الرَّحْمَانِ. لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا}**[1]. ثم في قوله: **{إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَعَزَّنِي فِي الْخِطابِ}**[2]، وفي مَنِّهِ على داوود عليه السلام **{وَشَدَدْنا مُلْكَهُ وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ}**[3].

يظهر في الآية الثالثة اقتران الخطاب بالحِكمة فالحكمة التي أريد بها في هذا السياق البلاغة وهي أشبه شيء في لغة العرب، كما ذهب العلماء من أمثال ابن منظور "أن الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه، مخاطبة، خطابا، وهم يتخاطبون والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر واختطب، يخطب، خطابة، واسم الكلام الخطبة (....)"[4].

أما الجرجاني في التعريفات فلقد لمح إلى أن هذا المعني بقوله في أن الكلام هو المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام أو ما تضمن كلمتين في الإسناد[5].

يطرح مفهوم الخطاب حين نروم تعريفه مفهومياً مسألة مُستعصية ذات صلة بالفرق بين النصّ (Texte) والخطاب (Discours). فهل يحملان على معنى واحد أم ثمة اختلاف بينهما؟

هناك من الباحثين من يجعل المصطلحين النصّ والخطاب بمنزلة المترادفين . بيد أن هناك من يميز بينهما بشكل دقيق فالخطاب ذو صلةٍ بالتلفظ(énonciation) والسياق التواصلي. في حين، يتميز النصّ بكونه مفصولاً عن هذا السياق بصورة كلية. وقد ميز ميشيل آدم (M.Adam) بينهما على هذا النحو الرياضي:

الخطاب = النصّ+ ظروف إنتاجه.

النصّ= الخطاب - ظروف إنتاجه.

فالخطاب، بعبارة أخرى ملفوظ يتميز بخصائص نصّية، يتميز أساسا بوصفه فعلا خَطابيًّا أنجز في وضعية ومقامٍ معين، في مقابل النصّ، الذي يُعدّ موضوعًا مجردا ناتجا عن فصل السياق عنه.

1 - سورة النبأ، الآية، 37.
2 - سورة ص، الآية، 23.
3 - سورة ص، الآية، 20.
4 - لسان العرب، ابن منظور، مادة الخطاب (خ ط ب).
5 - تعريفات الجرجاني، تح: ابراهيم الأبياري، كلام ط2، ص419، دار الكتاب العربي بيروت 1992.

فإذا كان النصّ ـ كما ذهب إلى ذلك جميل حمداوي ـ يقوم على النصّية (textualité)، والعلاقات التراتبية للوحدات والمتواليات، ويتميز باستقلاله الشكلي، وتنظيمه الداخلي، فإنّ الخطاب يركز على الخطابية أو التلفظية. بمعنى أن الخطاب يُرادف الملفوظ.فهو كما ذهب إلى ذلك أوليفيي ريبول (O. Reboul) " مجموع مُتسق من الجمل متماسك، يملك وحدة معنى، ويتحدث عن موضوع ما."[1]

وحاصل القول من كل ما تقدم، إذا كان النصّ بناء لغوياً مجرداً عن أطرافه التواصلية، فإنّ الخطاب ذو علاقة وثيقة بالإنجاز والتلفظ.

2. تعريف البنيّة:

تُشتق كلمة (بنيّة) في اللغة العربية من الفعل الثلاثي (بنى) وتعني البناء أو الطريقة.ويرى ليفي ستراوش أن البِنيَّة مجرّد طريقة أو منهج يمكن تطبيقها على أي نوع من الدراسات تمامًا كما هي بالنسبة للتحليل البنيوي المستخدم في الدراسات والعلوم الأخرى[2].

أماالبِنيَّة عند دي سوسر؛ فهي التي لا يمكن تعريفها إلاّ بالرجوع إليها بوصفها بناء أو نظامًا؛ أي الرجوع الى علاقاتها الداخلية (الدال والمدلول) بدلاً من علاقاتها الخارجية (سياق اجتماعي تاريخي).

3. بنية الخطاب:

يُطلق مصطلحالبِنيَّة ويُراد به في الغالب الأعم أمران أساسيان هما؛ العناصر والعلاقات بين هذه العناصر، حيث يغدو مُصطلح "منطق الخطاب" المُكافئ لها في سياق أدبيات تحليل الخطاب حيث يطلق مُصطلح البِنيَّة للدلالة على تلك الطريقة العقلية اللغوية التداولية المخصُوصة في تنظيم الأقوال، إذ يغدو المقصُود بالطريقة على وجه الخصوص، التنظيم الاستدلالي الحِجَاجِي لها، وذلك لأنّه ليس كل استدلال هو برهنة واستنباط بالمعنى الصوري لهما. فالبنية الحِجَاجِيّة على هذا سابقة عن المضمون الإبلاغي بما يجعل تسلسل الأقوال مُتوقفاً على مقصدها الحِجاجي(visée argumentative) بدلاً من توقفه على قيمتها الإبلاغية الإخبارية؛ أي على مضمونها الإخباري. يُضاف إلى هذا أنّالبِنيَّة ليست شيئًا ماثلا في النصّ مُثولاً ماديًّا (بقرائن لفظية)، وإنّما هي بدلاً من ذلك شيء يُشَكلُ وفق رؤية المتلقي بوصفه مؤولاً.

4. بِنيَّة الخطاب الحجاجي

1 أوليفييه ريبول:مدخل إلى الخطابة، ترجمة: رضوان العصبة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2017م، ص: 227.

2 - ينظر ابراهيم السعافين وعبد الله الخياص، منهاج تحليل النصّ الأدبي. ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة 1993، ص68، 69.

يقوم الخطاب الحِجَاجِي على مجموعة من الجمل والفقرات والمقاطع (séquence) التي تترابط فيما بينها اتساقا صوريا (cohésion) وانسجاما (cohérence) دلاليّاً، بواسطة مجموعة من الروابط والعوامل الحِجَاجِيّة والإجراءات والعلاقات المنطقية والاستدلالية بغية توجيه مقصده إلى تحقيق التأثير وتحصيل hالاقتناع ;الإقناع .

يقول عبد الله صولة: " إنّ مصطلح الحِجَاج بحكم صيغته الصرفية الدالة على معنى المشاركة في تقديم الحجج، وعلى مقابلة الحُجَّة بالحجة مؤهلة أكثر من كلمة الاستدلال لتؤدي مفهوما مهما جدا تقوم عليه النظرية الحديثة وهو مفهوم المناقشة والحوار.فظهر من ذلك أن الحِجَاج أشمل وأوسع من الاستدلال البرهاني الذي ظل، على الرغم من انتقاله بين علوم مختلفة، محافظاً على حدّه المنطقي الأول، فهو على العموم مجرد استنتاج قضية من أخرى استنتاج لزوم وتوقف وضرورة (implication).لهذا عُدَّ في نظرية الحِجَاج الحديثة نقيضا للحِجَاج الذي ينطلق من مبدإ الحرية ويقوم على الحوار."[1]

تهدف المقاربة الحِجَاجِيّة إلى تحليل تلك الخطابات التي تستبطن أطروحة (دعوى) ما، وتدافع عنها بتسخير الوسائل والآليات والتقنيات والمسالك والإستراتيجيات الحِجَاجِيّة بغية النفاذ إلى الآخر واستمالته والظفر بإقناعه بعيدا عن التطويع و المغالطة و الإكراه.

فالخطاب الحِجَاجِي وفق تصوّر أبو بكر العزاوي " هو مجموعة من الأقوال والجمل ومجموعة من العلائق الدلالية المنطقية القائمة بينها، أو بتعبير حجاجي هو مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق، فالحُجَّة تستدعي الحُجَّة المؤيدة أو المضادة لها، والدليل يفضي إلى نتيجة والنتيجة تفضي إلى دليل آخر، وكل قول يرتبط بالقول الذي يسبقه ويوجه القول الذي يتلوه، وبعبارة أخرى، فإنّ الأقوال والجمل تقوم بينها علاقات منطقية ودلالية مثل الشرط والسببية، والاستلزام والاستنتاج والتعارض وكلها علائق حِجاجية استدلالية، ومجموع هذه العلائق هو ما يكونالبِنيَّة المنطقية للنص أو الخطاب المقصود، وهو ما نسميه عادة بمنطق الخطاب أو المنطق الطبيعي." [2]

وخلاصة القول في ختام هذه المحاضرة مفاده تعذر حمل جميع الخطابات على الطابع الحجاجي دون قيد، فثمة خطابات ونصوص ليست حجاجية. حيث سلك عبد الله صولة في هذا القضية مسلك التوفيق حين قال: "إننا نروم الوقوف وسطا بين هذين

1 عبد الله صولة: الحِجَاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، المرجع السابق، ص9.

2 أبو بكر العزاوي: حوار حول الحجاج، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، المغرب، طبعة 2010م، ص:37-38.

الطرفين (المذهب المنطقي والشكلي والرياضي الضيّق لبيرلمان وتيتيكا، والمذهب اللغوي الواسع لديكرو وأنسكومبر)، فالرأي عندنا أنه ما كل حجاج بفصل أو وصل.كما أنه ما كل قول بحجاج، وليست اللغة بكل وحداتها المعجمية ذات طاقة حجاجية في ذاتها.وفوق هذا وذاك فإن لطبيعة النصّ دورا أساسيا في إكساب لغته بُعدًا حجاجيا أو عدم إكسابها إياه، فعند ريبول وهو محقٌّ إلى حدٍ لامحالة، أن من أنماط الإبداع ما ليس حِجاجًا ولا هو مُراد به الإقناع أصلا مثل " القصيدة الغنائية والتراجيديا والميلودراما والملهاة والرواية [غير التعليمية] والقصص الشعبي والحكايات العجيبة".[1]

1 ـ عبد الله صولة، الحِجَاج في القرآن، المرجع السابق، ص.40

المحاضرة رقم 07

الحِجَاج والبلاغة الجديدة

1.البلاغة الجديدة:

ظهر مُصطلح البلاغة الجديدة (la novelle rhétorique) في الفترة المعاصرة في صلب الأدبيات الأوروبية الإنجليزيّة والفرنسية على وجه الخصوص، حيث يُطلق المصطلح الأخير ويراد به جُملة التصوّرات النظرية والآليّات التي رجع إليها من خلال بلاغة أرسطو والبلاغتين اليونانية والرومانية، ونظر إليها الدّارسون من مداخل نظر جديدة ، ذلك أنّ البلاغة قبل ذلك كانت قد فقدت حَظوتها في العصر الحديث وألصقت بها كل نقيصة شنيعة، حيث أفضت معاودة النَّظر إليها بمنظور جديد إلى ازدهار الدراسات البلاغيّة الغربيّة عبر اتّجاهات مختلفة من قبيل نظريّة الحِجَاج (بلاغة الحِجَاج والإقناع) بتوجّهاتها المختلفة.

لقد أعادت البلاغة الجديدة بعث الآليات والمفاهيم الإجرائية التي رسّخها أرسطو ومن جاء في أعقابه من البلاغيين أمثال؛ شيشرون ، لونجاينوس، فونتانيي وغيرهم، بيد أنها قدمت مُراجعة لتلك التصوّرات ونظرت إليها عبر مفاهيم اللسانيات والمنطق ونظرية

القراءة قصد إيجاد السّند النظري والإجرائي الذي يمدّ تحليل الخطاب باستراتيجيات ومناهج جديدة في التحليل، لأنّ البلاغة تكفل ذلك بوصفها من صميم اللغة وهي الجهاز المفاهيمي الأقدر على فهم وإنتاج الخطاب تخييلا وتداولاً.[1]

لقد أسس شايم بيرلمان (Chaïm Perelman) وأولبريخت تيتيكا(-Lucie Olbrechts Tyteca) البلاغة الجديدة حين ربطها بالحجاج والإقناع،مستلهمين في سعيهما تصوّرات الفيلسوف اليوناني أرسطو. ومن ثمّ، ألحق بيرلمان البلاغة بالحجاج مادام يشتركان في هدفٍ واحد هو الإقناع والتأثير على حد سواء. فالبلاغة حجاجية. بمعنى أن الصور البلاغية والمحسنات البديعية تنهض بوظيفة حجاجية. ومن ثمّ، ارتبط اسم بيرلمان بالبلاغة الحجاجية.

أضحت البلاغة الجديدة، بداية من منتصف القرن العشرين بوصفها تخصصا قائماً بذاته، موضوع اهتمام المفكرين والباحثين وعلى رأسهم بيرلمان (Perlman) الذي أعاد صياغة التصوّرات والإجراءات الأساسية للصناعة الخَطابية الأولى التي ضربت الصفح عن الجانب العقلاني.

على الرغم من كون بيرلمان قد انطلق من أفكار أرسطو حول البلاغة إلا أنه قدم تصوَّرًا أصيلاً وعمّق مراميها النظرية حيث تُعدّ البلاغة وفق منظوره بمثابة برهنة استدلالية أو فلسفة عقلانية غايتها التمييز بين الأفكار القيمة وغير القيمة، وفرز الحُجج الوجيهة من غيرها. علاوة على ذلك، فإنّ مكمن أهمية نظريته الحِجَاجِيّة في بيان طبيعة العلاقة بين البلاغة والمخاطب، سواء أكان فردا أم جماعة (جمهور)، والهدف المنشود من ذلك كله هو كشف الزيف والوهم والمحتمل، والدفاع عن الحقيقة الصادقة.

ومعني هذا أن الفكر الإنساني ليس دائما برهانيًّا واستدلاليًّا ـ على حد تعبير جميل حمداوى ـ بل ثمة أفكار غير منطقية، ولكنها تحمل في طياتها ما هو حجاجي، كما هو حال الجمالي أو الفني الذي ينهض بوظائف حجاجية. ويعني هذا أن حجاجية بيرلمان ذاتية ومتغيرة، مادامت تركز على الذوات لأنّ الدليل (الحُجَّة) قد يكون مؤنساً بصحة النتيجة أو مُرجحاً لها أو قاطعا لها.

2.الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه:

يُعدّ كتاب "مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة-" وهو عمل اشترك في تأليفه **بيرلمان وتيتيكاه** من أشهر الكتب التي عمقت المرامي النظرية للحجاج، حيث يؤرّخ بعض الدّارسين للدّراسات الحِجَاجِيّة بالرّجوع إلى هذين المؤلّفين **بيرلمان وتيتيكاه،** حيث تُطلق كلمة

موسوعة ويكبيديا بتصرف كبير.

(Argumentation) على العلم وموضوعه وأهمّ غاية يرمي إليها هذا الكتاب، وقد يكون ذلك من قبل المفارقة الّتي هي عند المؤلّفين سبيل الخطابة والجدل معًا من دائرة الخطابة والجدل الّذي ظلّ لفترات طويلة في القديم مرادفًا للمنطق نفسه .

لقد « عمل الباحثان على تخليص الحِجَاج من صرامة الاستدلال الّذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورةٍ وخضوعٍ واستلابٍ، فالحجاج في تصوّرهما معقوليّة وحريّة، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة ومن أجل التّسليم برأي آخر بعيدًا عن الاعتباطية واللاّمعقول اللّذان يطبعان الخطابة عادةً، وبعيدًا عن الإلزام والإضرار اللّذان يطبعان الجدل[1]».

في موضع آخر من الكتاب يتحدّث المؤلّفان عن غاية الحِجَاج فيقولان إنّ؛ « غاية كل حجاج أن يجعل العقول تُذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحِجَاج ما وفق في جعل حِدّة الإذعان تقوى درجاتها لدى السّامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وفّق على الأقل في جعل السّامعين مهيّئين لذلك العمل في اللّحظة المناسبة[2]».

يظهر من كلام المؤلّفين في كتابهما أن : « تحقيق الإقناع Conviction الّذي هو غاية الحِجَاج يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال La démonstration والإقناع La persuasion [3]».

يقسّم **بيرلمان** و**تيتيكاه الحِجَاج** قسمين تبعاً لنوع الجمهور وهما الحِجَاج **الإقناعي؛** وهو ما يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص، والحجاج **الإقتناعي؛** وهو حجاج يروم أن يُسلّم به كلّ ذي عقل فهو عام، حيث يجعل المؤلّفان الإقتناع، وهو عقلي دائمًا أساس الإذعان وأساس الحجاج، في مقابل الإقناع الذي لا يُعتد به في الحِجَاج بما هو ذاتي وخاص.

مميزات الحِجَاج وملامحه الرئيسة وفق بيرلمان:

- يتوجّه إلى مستمع.
- يُعبّر عنه بلغة طبيعيّة.
- مُسلّماته احتماليّة.

1 عبد الله صوله،الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة ضمن أهم نظريات الحِجَاج الغربية من أرسطو إلى اليوم،ص 298. بتصرف.
2 عبد الله صوله،الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة ضمن أهم نظريات الحِجَاج الغربية من أرسطو إلى اليوم ،ص 299.
3 المرجع نفسه ،ص 300.

- لا يفتقر تقدّمه (progression) إلى ضرورة منطقيّة بمعنى الكلمة.
- نتائجه غير مُلزمة (احتمالية غير حتمية).

من خلال النّظر إلى هذه التّحديدات والملامح والوظائف التي ينهض بها الحِجَاج في تصوّر بيرلمان وتيتكا يتبيّن لنا أنّ الأطر الحِجَاجِيّة عندهما تتمثّل في العلاقات الثّنائيّة القائمة بين الحِجَاج والاستدلال، ثمّ الحِجَاج والخطابة، ثمّ الحِجَاج والجدل، وذلك في إطار عمليّة إقامة الدّليل والبحث عن آليات تحصيل الإقناع بالتّحرك من أجل إنجاز الفعل المقصود أصلاً من قبل الخطيب[1].

يظهر من خلال ما قيل أعلاه، أن كتاب **"مصنّف في الحجاج"** يعرض أطروحة تضمر تصوّرًا فلسفيًّا عميقًا، حيث يترتب على ذلك أن الحِجَاج عبارة عن تصوّر معيّن لقراءة الواقع.

محاضرة رقم 08

الاستدلال الحِجَاجي والنصّ.

تمهيد:

لقد ترسخ الاعتقاد أن النصّ الحِجَاجِي هو نصّ اقتراني من خلال حدّ العلاقة الاستدلالية التي تقوم على الحركة أو النقلة العقلية من المقدمة إلى النتيجة بالاستناد إلى المعارف السّابقة من خلال بناء اللاحق على السابق حيث ينبني الاستدلال على قوانين متى كانت منطقية صورية يقينية (قطعية) أفضت إلى البُرهان، ومتى كانت طبيعية ظنية راجحة أفضت إلى الحِجَاج باللغة الطبيعة إذ يتحدد مفهوم الحُجَّة تبعاً لمجالات التخصص التي يستخدم فيها، فهي مجهول في المنطق وخِطاطة الحُبكة في السرد الأدبي وتنهض بدور الدليل في البلاغة.

1. تعريف الاستدلال:

1.1.لغةً:

1 عبد الله صوله، الحِجَاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة ضمن أهم نظريات الحِجَاج الغربية من أرسطو إلى اليوم ،ص 108. بتصرف

تشير لفظة الاستدلال في معجم لسان العرب لابن منظور : « دلل- أدلَّ عليه وتدلل- انبسط، وقال ابن دريد: أدلّ عليه وثق بمحبته، فأفرط عليه، وفي المثل، أدلّ فأملّ والإسم الدّالة[1]».

« والدّليل ما يستدلّ به »[2]. والدّليل: «الدّال وقد دلّه على الطريق يدلّه دَلالة ودِلالة ودلولة والدّليل والدّليلي الذي يدلّك والجمع أدلّة وأدلاّء، والإسم الدَّلالة والدِلالة بالكسر والفتح»[3]. والاستدلال في اللّغة معناه : « من استدلّ: أي طلب الدّليل والطريق المرشد إلى المطلوب».[4]

وعليه كان: « الاستدلال إذاً هو فعل المستدلّ، وهو طلب معرفة الشّيء من جهة غيره بخلاف مدلول «النّظر» الّذي هو طلب معرفة الشّيء من جهته ومن جهة غيره، فهو أعمّ منه وأشمل »[5].

2.1. اصطلاحًا:

يُعدّ الاستدلال سياق الخطاب الحِجَاج العقلي أو تدرجه (الانتقال progression) المنطقي، لأنّ الخطاب الحِجَاجِي يقوم على البرهنة لذا يتوجب أن يكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي حيث تتساند جميعها قصد تحقيق غاية مشتركة، وعِماد هذا النظام لساني بالأساس ذلك أن الخطاب الحِجَاجِي في أبسط تعريفاته؛ هو ترتيب عقلي للعناصر اللغوية يستجيب لنيّة الإقناع وهو ما يصطلح عليه طه عبد الرحمان بالخاصية الاستدلالية[6].

1 ابن منظور، لسان العرب ، ص 296.

2 ابن منظور ، لسان العرب ،المرجع نفسه، ص 296.

3 المرجع نفسه، ص 296.

4 رضوان الرقبي الاستدلال الحِجَاجِي التداولي وآليات استغلاله ، مجلة عالم الفكر، العدد02 المجلد 40، أكتوبر، ديسمبر 2011، ص 74.

5 المرجع نفسه، ص 74.

6 - طه عبد الرحمان، أصول الحوار وتجديد الكلام، المرجع السابق، ص36.

يذهب الشّريف الجرجاني في تعريفه لمصطلح الاستدلال إلى القول إنّ : « الاستدلال تقرير الدّليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثّر، فسمي استدلالاً آنيًّا، أو بالعكس يسمّى استدلالاً لميّا »[1].

يُرادبمصطلح الاستدلال إذاً طلب الدليل " حيث يكون المطلوب عند الطلب غير حاصل بالضّرورة، فإنّه لفظ جارٍ في ما وقع به طلب الدّليل »[2].فالاستدلال مفهوم منزلته منزلة العلامة أو التّمثيل أو الاتّصال أو الانفصال، إذ يعتبر مفهومًا مشتركاً في العلوم المعرفية القديمة كالمنطق والكلام وأصول الّلغة والبلاغة، كما هو عليه حاله في العلوم الحديثة، كاللّسانيّات والتّداوليّات. وعليه كانت: «عبارة الاستدلال تتّصل بجدول لغوي ثري من قبل الدّليل والدّلالة واللّزوم والاستنتاح والاستنباط والاقتضاء والبرهان والقياس والحُجّة »[3].حيث تمثل عملية الاستدلال بؤرة العلاقة الرّابطة بين الدّليل والنّتيجة.

أما مفهوم الاستدلال في عرف المناطقة فهو : « استنتاج قضيّة مجهولة من قضيّة أو عدة قضايا معلومة، أو هو التّوصّل إلى حكم تصديقي مجهول بواسطة حكم تصديقي معلوم أو بملاحظة حكمين فأكثر من الأحكام التّصديقية المعلومة »[4].

فالاستدلال إذاً، هو تلك العملية العقلية التي « ينتقل فيها الفكر بين أشياء مُسلّمٌ بصحّتها إلى أشياء أخرى لازمة منها بالضّرورة، وتكون جديدة عن الأولى، وقد يكون الاستدلال استنتاجيًا ويسمّى اِستنباطًا أو اِستقرائيًا ويسمّى اِستقراء، أو يسمّى الاستدلال من مقدمّة واحدة اِستدلالاً مباشر، ومن مقدّمتين اِستدلالاً قياسّيًا »[5].

2. أركان الاستدلال: يقوم الاستدلال على أركان هي:

1.2.**المقدمات:** ويصطلح عليها كذلك بالحجج، وهي إما أن تكون تعريفات أو مسلمات أو بديهيات أو نتائج استدلالات سابقة. فالمقصود بمُصطلح المُنطلق في هذا

1 عبد الله صولة، الحِجَاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، المرجع السابق، ص 10.

2 شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة 2010، ط2 2006، ص 06.

3 شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة 2010، ط1، 2006، ط2، 2006، ص 14.

4 عمر المحمودي، مفهوم الاستدلال عند الأصوليين وتطور دلالته، من شبكة الألوكة، د. ط، ص 01،02.

5 رضوان الرقبي، الاستدلال الحِجَاجِي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، العدد02، المجلد 40، أكتوبر، ديسمبر، 2011، ص 75. بتصرف

السياق هو معناه الخَطابي (lieux discursive) ؛أي اعتبار حُجّة ما منطلقا (أقوال الانطلاق) يقع الانتقال بها لبلوغ وتسوّيغ الأقوال الهدف (الوصول).

2.2.**النتيجة:** وهي إما نتيجة ظرفية مؤقتة تصير مقدمة لاستدلال لاحق، أو نتيجة نهائية إذ تعد في هذا الحالة دعاوى (= الأطروحات).

3.2.**قواعد الاستدلال والمبادئ الحجاجية:** وهي القواعد و المواضع التي تضمن الانتقال وتربط العلاقة الاستدلالية بين المقدمات والنتيجة. حيث قواعد الاستدلال؛ هي قواعد عامة تجعل استدلالا ما ممكنا منطقيا، وهي مطلقة وحتمية.أما المبادئ الحِجَاجِيّة فهي قواعد عامة تجعل استدلالا ما ممكنا تداوليا (التسويغ)، وهي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة والمواضع (topi) بين أفراد جماعة بشرية معينة ، كما أنها ذات طبيعة مرنة وسياقية بخلاف قواعد الاستدلال.

3. مفهوم الاستدلال الحجّاجي:

الاستدلال الحِجَاجِي مُركّب لغوي مكوّن من طرفين :« أحدهما "الاستدلال"، وهو اسم معنى لكنّه كُلّي، أمّا الثّاني، فهو "حجاجي" وهو نعت يضم مفهومي "الحجّة" و"الحجاج"، غير أنّ مفهوم "الحجاجي" بياء النّسبة المشدّدة فيه، هو ملحق على الاستدلال وصفة تخصيصيّة له أيضًا»[1].

يكون مجال استعمال المركّب اللّغوي: " الاستدلال الحجاجي" في الخطاب الفلسفي بالمعنى التّالي: «تلك المنهجيّة أو الطّريقة العقليّة الّتي يسلكها الفيلسوف أو المتفلسف لأجل إرساء حقيقة في صورة إثبات أو نفي أطروحة أو قضيّة ما، أو كيفيّة كيفيّات معالجتها. وما يقتضيه ذلك من مختلف العمليّات العقليّة المنطقيّة المتعارف عليها من جهة، ثم تبرير تلك الحقيقة تبريراً حجاجيّا وما يقتضيه ذلك من مختلف الأساليب الإقناعية الإفحامية الملائمة للخطاب الفلسفي عموما من جهة ثانية، والواقع أنّ الاستدلال (Raisonnement) والحجاج (Argumentation) يلتقيان ويتقاطعان تكامليًا في الفلسفة إنتاجًا وتعليمًا ضمن مدار واحد. ومركز هذا المدار هو عرض الحقيقة العقليّة – اللفظيّة – عرضًا استدلاليًا متماسكًا تواكبه إجراءات حجاجية معروضة ونتاج مع إنجازات لسانيّة وبلاغيّة وتداوليّة وغيرها»[2]

1 حبيب أعراب، الحِجَاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، العدد01، المجلد 50، جويلية، سبتمبر، 2001، ص 124.

2 حبيب أعراب، الحِجَاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، العدد10، المجلد 50، جويلية، سبتمبر، 2001، ص 129.

تتأتى حجاجيّة الاستدلال من قوانين منطقيّة طبيعيّة غير صناعيّة تتميز : «انبناء الاستدلال فيه على صور القضايا مجتمعة إلى مضامينها المحدّدة في إطار مقام تداولي معيّن، إذ يأخذ بعين الاعتبار مُقتضيات الحال من معارضة مشتركة ومطالب إخباريّة مشتركة وتوجّهات ظرفيّة. قيام الاستدلال فيه على سرد كثير من الحجج تمتاز بالاختيار الحسن والتّرتيب المُحكم، قصد إقناع المتلقّي والتّأثير فيه... الأخذ بصور الاستدلال مبناها على مبدأ التّفاضل والتّراتب في صدق الأقوال؛ أي أنّ الاستدلال الحِجَاجِي لا يقرّ بمنطق ثنائيّة القيمة (الصّدق/ الكذب)، إذ قد يفضي الاستدلال فيه إلى قيم متعدّدة تنزل مراتب قيميّة بينهما، كأن تكون أشبه بالصّدق وسطًا بينهما، أشبه بالكذب»[1].

نخلص في نهاية هذه المحاضرة الموجرة إلى أن الحِجَاج لا يختلف عن الاستدلال الصوري (البرهان) في الأهداف وإنّما يختلفان في الطّرائق (modalités) فالمُحاجج يقدّم لنا مسار(trajet) تشكل رأيه بهدف تمكين المعروض عليهم (المستدل لهم) من إعادة إنتاجه وفهمه، كما قد ينزع إلى بيان السّبب والعلّة الّتي جعلته يفكر على ذاك النحو، وهو حين يفعل ذلك فإنّه يلتزم بذكر الدّليل المُستلزم للمدلول دون أن يكون ذلك الذكر بالضرورة في صيغتي القياس الاقتراني أو القياس الشرطي؛ أي دون أن يلتزم العارض بصور العقلانية الاستنباطية لأنّه من سلك طريق المناطقة في تأليف الاستدلال كان من المضّيقين لطريق العلم عقولاً وألسنة كما ذهب إلى ذلك ابن تيمية في سياق ردوده على المنطق الصوري حين بيّن مثالب المنطق المُفضي إلى قولبة الفكر في أنماط قارة عند إلزامه صب النّظر في قالب مخصوص، إذ يفهم في المحصلة من كلام المُعترضين على المنطق الصوري نزوعهم إلى إغناء طُرق الاستدلال وتوسيع روافده.

1 حسن بن عبو، مجلة دراسات شرعية، المنحنى الحِجَاجِي للخطاب القرآني وأثره في منهج الاستدلال الأصولي، العدد 26، ص 132.

المحاضرة رقم09 :

الحِجَاج البلاغي في التداولية

لا يغيب على الناظر إلى تاريخ البلاغة، منذ نشأتها، صلتها بالحجاج حيث كانت العلاقة بينهما علاقة تكامل مميّز ومعقّد التفت إليه القدامى قبل المحدثين وعلى وجه الخصوص فلاسفة اليونان بداية من أرسطو الذي حدّها على النّحو الآتي: « الكشف عن الطرق المُمكنة للإقناع في أي موضوع كان»[1].

لقد بعث المحدثون الإشكالية بناء على انتهى إليهم من أفكار حيث حصل الإجماع حول فكرة أنّ القدامى لم يخطئوا حين جمعوا بين البلاغة والعناصر العقليّة للحِجَاج بمكوّناته الوجدانيّة والفنية إذ « لم يكن لهذا الارتباط أن ينشأ لولا أنّ البلاغة في أصلها نشأت في أحضان الخطابة، وما تتميّز به من مراعاة مقام المتخاطبين ومحاولة التّأثير فيهم بأساليب لغويّة وتقنيات استدلاليّة تدفعهم إلى الإقتناع بكلام الخطيب[2]».

يسهل الحديث عن اندماج الحِجَاج مع البلاغة في كثير من الأساليب، ولمّا كان المحتمل هو مجال الحِجَاج فقد كان حرّي بالخطاب الحِجَاجِي أن يعضُد طرحه بالاعتماد على

1 رضوان الرقبي، الاستدلال الحِجَاجِي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، الحجاج، العدد 02، المجلد 40، أكتوبر، ديسمبر، 2011، الكويت، ص 82.
2 حبيب أعراب، الاستدلال الحِجَاجِي ،عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، المرجع السابق، ص105.

الأساليب البلاغيّة والبيانيّة الّتي تُظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس. فلقد عُزلت هذه الأساليب البلاغيّة عن سياقها البلاغي ليؤدّي وظيفة جماليّة كما هو مطلوب في سياق البلاغة دون أن تتجاوزها إلى الوظيفة الإقناعيّة الاستدلاليّة التي يقتضيها الحِجَاج .

إنّ محسنًا بلاغياً لهو حجاجي إذا كان استعماله يؤدّي دوره في تغيير زاوية النّظر، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإنّ المحسن سيتمّ إدراكه باعتباره زخرفة؛ أي باعتباره محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع[1].

تظهر آثار البلاغة حين تقنع المخاطب من خلال المجاز على سبيل المثال ، حيث يقول طه عبد الرحمن في هذا الصدد « لا كلام بغير خطاب، ولا خطاب بغير حجاج [...] ولا حجاج بغير مجاز، فالمجاز أسلوب من أساليب المحاجة » ويضيف أيضا: « إنّ حقيقة الحِجَاج ليست هي مجرّد الدّخول في علاقة استدلاليّة، وإنّما الدّخول فيها على مقتضى المجاز، بمعنى أنّ الّذي يحدّد ماهية الحِجَاج هو العلاقة المجازيّة وليس العلاقة الاستدلاليّة وحدها فلا حجاج بغير مجاز[2]».

كما تُعدّ الاستعارة أكثر الصّور توظيفاً في الخطاب الحِجَاجِي بغية الإقناع حتّى عدّها الدّارسون أبلغ وجوه تقييد اللّغة بمقام الكلام.

وحاصل القول مما سلف، أنّ العلاقة بين البلاغة والحجاج علاقة استلزاميّة حيث ظلّت البلاغة الأسلوب الأمثل للخطاب منذ عهد اليونان، حين عول عليها لتحصيل الإقناع .

1. علاقة الحِجَاج بالتّداوليّة :

رَكَن بعض المفكرين في عصرنا إلى القول إنّ اللّسانيّات التّداوليّة بوصفها علمًا حديثًا هي في الحقيقة مصطلح جديد يطلق على مسلك قديم في التّفكير اللغوي، يرجع إلى الفيلسوف سقراط، على أقل تقدير ، ثم تبعه أرسطو والرّواقيون من بعده، إذ تشكّل التّداولية التي نهلت من التّفكير الفلسفي في اللّغة درسًا غزيرًا لم يقف بعدُ عند حدودٍ واضحة.

أما بخصوص صِلة الحِجَاج بالتّداوليّة، فيبرز تساؤل أساسي حول مناط المقاربة الحِجَاجِيّة (L'approche argumentative) وأساسها فهل نلتمسه في اللّسانيّات أو البلاغة

1 صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، دمشق، ط1، 2008، ص 51. بتصرف كبير.
2 طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي، المرجع السابق، ص 213.

أو الأسلوبيّة؟ نظرًا إلى أنّه يعدّ في ذاته بناء لا يتجسّد إلاّ من خلال هذه المستويات الثّلاثة بصفة أساسيّة[1].

ينظر التّداوليون المعاصرون إلى الخطاب الحجاجي، على أنّه متميّز بخصائص تواصليّة بنيوية تجعله جنس مختلف عن غيره من الخطابات : السرديّة والوصفية والإخباريّة، كما أنّ صوره البنائيّة، الاستدلاليّة ، وخضوعه لشروط التلقّي والمقام والرّغبة في التّأثير وتوجيه الفعل، تكرس كلُّها ذلك التميّز من جهة، وتدعم من جهة ثانية انتماء القول والنصّ الحِجَاجِي إلى مجال التّداوليّات على الرّغم من اتّساع هذا المجال منهجيًّا، إلاّ أنّ من أولويّاته تقديم أجوبة سديدة عن أسئلة حجاجيّة عِدّة ، مثل: من يتكلّم ؟ وإلى من يتكلّم؟ وماذا نقول بالضّبط حين نتكلّم؟[2].

لقد سعت التّداوليّة إلى معالجة الحِجَاج بوصفه فعلاً تداوليّا لا يتعذر تفسيره دون إبراز مراتب المتكلّمين وأدوارهم في أفعال نظريّة الكلام وأهميّة السّيّاق التّخاطبي، كما حاولت التّداوليّة أن تفسر دور الرّوابط الحجاجيّة، بوصفها أدوات تُسهم في تحقيق العلاقة الخطابيّة بين المتكلّمين،كما اهتمّت بالسّلالم الحِجَاجِيّة في صلب الأقوال، لذلك اتّخذ التّحليل التّداولي للحِجَاج من النّصوص وكيفيّة إنتاجها موضوعه المحوري. حيث يسعى هذا التّحليل إلى كشف وتحديد قواعد النّصوص الحِجَاجِيّة ومعاييرها[3].

وعليه فقد تجسّدت أهم المباحث التداوليّة في الحِجَاج في أشكال عديدة نذكر منها:

2. **أفعال الكلام ودورها الحجاجي**: (نظرية أفعال الكلام العامّة)

تعتبر هذه النّظريّة التي قدّمها الفيلسوف أوستين، من أهمّ المحاور التّداوليّة المعاصرة، حيث أعطى صاحبها اللّغة وأفعالها الكلاميّة مكانة كبيرة في صنع الأحداث ونقل المعنيّين من مستوى التلقّي، إلى مسرح الفعل والتّجسيد إذ تكتسي هذه الأفعال قيمتها حين يوظفها أصحاب الكفاءات والمحاججة والإبانة.

يطلق أوستين مصطلح إخباري، للدلالة على النّوع الأوّل من القضايا في مقابل (أدائي) ليعبّر عن تلك القضايا الّتي تؤدّي بالفعل ما تصفه الأفعال، كما يطلق مصطلح "فعل الكلام (Acte locutoire) بصورة كثيفة للدّلالة على النّظريّة الّتي تحلّل دور الملفوظات في علاقتها بسلوك المتكلّم والسّامع في التّواصل المشترك، وليس فعل الكلام متعلقًا بمعنى الكلام. بل هو

1 ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحِجَاج في البلاغة المعاصرة، المرجع السابق، ص 176. بتصرف
2 ينظر: المرجع نفسة،ص176. بتصرف.
3 رضوان الرقبي، الاستدلال الحِجَاجِي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، المرجع السابق، ص 87. بتصرف.

بالأحرى نشاط تواصلي يتحدد بمرجعية مقصد المتكلّم أثناء كلامه والآثار النّاجمة عنه عند السّامعين.[1]

3. أقسام نظريّة الأفعال اللّغويّة عند أوستين:

- القول في حدّ ذاته؛ أي فعل إنتاج الأصوات وتركيب الكلمات في بناء يلتزم بقواعد اللّغة ويحمل دلالة معيّنة.
- القول الفاعل؛ أي الفعل الّذي ننجزه أثناء القول ونؤكّد بالقوّة البلاغيّة.
- الفعل التّأثيري (غير المباشر)؛أي الأثر غير المباشر الّذي تحقّقه بالفعل[2].

4. الدّور الحِجَاجِي في الأبنية اللّغويّة (الحجاج اللّساني):

تمثّل أعمال أزوالد ديكرو وجون كلود أوسكومبر اتّجاهًا مميّزا في اللّسانيّات التّداوليّة الحديثة فقد رفضا التّصور القائم على فصل الدّلالة والتّداوليّة التّي تُعنى بالاستعمال لأنهما يعتقدان أن الأمر كلُّه منوط ببنيّة اللّغة، ذلك أن الجزء التّداولي فيها يكون مدمجا في الدّلالة.

وعليه يغدو الحِجَاج عندهما مركوز في بِنيَّة اللّغة ذاتها(خاصية كُنهية فيها)، وليس فيما يمكن أن ينطوي عليه الخطاب من بنيّات شبه منطقيّة فالخطاب وسيلة لحجاج وغايته في آنٍ واحدٍ ، حيث يتحقق الحِجَاج عندهما حين يتقديم المتكلّم بقولٍ (ق 1) أو مجموعة أقوالٍ. تؤدي إلى التّسليم بقولٍ آخر (ق 2) أو مجموعة أقوالٍ أخرى سواء أكان (ق2) صريحًا أو ضمنيًّا . حيث يُصطلح على عمليّة قَبول (ق 2) على أنّه نتيجة للحجّة (ق1) بعمل المُحاجَّة.

قد تبدو قضية الانتقال بين الأقوال وكأنّه عمليّة استدلال، إلا أن الباحثين لا يغفلان التمييز بين عمل المُحَاجَّة وبين عملية الاستدلال فالفرق بينهما أساسه ربط المتكّلم آرائه واعتقاداته بحالة الأشياء في الكون (العالم)، أما الحِجَاج فهو عمليّة موجودة في الخطاب نفسه، فالحجاج في تصوّرهما خاصيّة لغويّة دلاليّة وليس ظاهرة مرتبطة بالاستعمال في المقام. فهو قائم في جوهر اللغة كما أنه واسع جداً فكلّ قول في منظورهما حِجاجي.

كما يتحقّق الحِجَاج في تصوّرهما من خلال تتابع الأقوال تتابعًا صريحًا أو ضمنيّا ؛ أي

1 محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحِجَاج في البلاغة المعاصرة، المرجع السابق ص 182. بتصرف
2 المرجع نفسه، ص 184.

تتابع الحُجَّة والنتيجة، حيث لا يستند ترابط تلك الأقوال إلى قواعد الاستدلال المنطقي، بل هو ترابط حجاجي لأنّه مسجّل في أبنية اللّغة بصفته علاقات توجِّه القول وجهة دون أخرى.

من المفاهيم المهمّة كذلك في هذه النّظريّة مفهوم الاقتضاء وهو ما ينقله القول إلى المخاطب بصفة ضمنيّة. أما هدف الحِجَاج عندهما فهو التّوجيه (l'orientation)؛ ويكون بتوجيه المتلقى بالتأثير فيه، أو إقناعه أو جعله يُقدِم على عملٍ ما .

يمكن القول إنّ أعمال هذيّن الباحثيّن أعمال ذات منزع بنيوي حيث تغلق النّص أو الخطاب ، إذ تحيل اللّغة ضمن هذا الدّاخل اللّغوي على ذاتها، لأنّها تعكس عمليّة قولها بحيث يكون معنى القول هو ما ينقله من وصف وتمثيل لعمليّة قول ذلك القول. ، و أما توسيع دائرة الحِجَاج لتشمل كل الأقوال ففيه مبالغة كبيرة لأنّ للغة وظائف أخرى لا تقل أهميّة عن الحجاج.

المحاضرة رقم 11:

الحِجَاج والتواصل

يعود لفظ (communication) في اللغة بالفرنسية من جهة الاشتقاق إلى اللغة اللاتينية (communicato) حيث يُؤرخ له على أرجح الأقوال بنهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر، إذ يحمل معنى الاشتراك وتبادل الآراء والإبلاغ والعلاقات والتأثير والتحكم والسلطة، فمحموله إذًا على المشاركة في تبادل الأغراض والأفكار والمعلومات والمهارات مع شخصٍ أو عدّة أشخاصٍ

شهدت دلالة مصطلح التواصل في اللغتين الفرنسية والإنجليزية تغيّرا لافتاً على مرّ العصور، حيث يُستدل على معناه من خلال المجال الذي وظّف فيه، فيمكن أن يدل على نقل خبر من مكان إلى آخر، كما يُطلق لدلالة على وسائل النقل(المواصلات)، حيث يؤكد "طه عبد الرحمن ذلك بقوله : « ظلّ لفظ "التواصل" على تداول الألسن له وروده في قطاعات معرفية مختلفة، لفظًا يكتنفه الغموض، فقد يدلّ على معان ثلاثة متمايزة فيما بينها:

أحدها نقل الخبر، ولنصطلح على تسمية هذا النقل بالوصل، الثاني، نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، ولنطلق على هذا الضرب من النقل "الإيصال"،الثالث

نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم ومقصده الذي هو المستمع معا، ولندع هذا النوع من النقل باسم "الاتصال"»[1].

لقد قوَّضت التداولية المنوال السَنني(codique) للتواصل وقدمت بدلاً عنه المنوال الاستدلالي (Modèle inférentiel).حيث يصبح التواصل وفق هذا التصوّر إنتاج وتأويل، كما تقدم في المحاضرات السالفة القول إنّ كل خطاب إلا ويضمر في ثناياه أبعادًا حجاجية تروم التأثير في المعروض عليهم فتحملهم على التصديق بفحواه وتنزع إلى خلق الميل أو زيادة إذعانهم للفكرة المعروضة عليهم، فهل يسوغ بناء على ذلك، القول إنّ كل تواصل يستبطن الحِجَاج؟ وما الوشائج التي تربط بين التواصل والحجاج؟ وهل ثمة ضرب من التواصل الحِجَاجِي (communication argumentative) يتوسل بالعناصر التواصلية ذاتها؟

لم يستنكف أوليرون (Oleron) حين رام الإجابة عن التساؤل السالف من الركون إلى القول إنّ التواصل الحِجَاجِي يسلك المسالك التواصلية ذاتها حين قال : " عن طريق الحِجَاج نحاول أن ننقل عناصر معينة، غرضها خلق أو توكيد قناعات وترتيبات وذلك للتصرف في المواقف، بقصد الإقناع وليس بساطة إثراء معارف المتلقى "[2].

يظهر من المقتبس السالف أن المراد بمصطلح التواصل فيه لا يُحمل على التواصل العادي الذي مداره على نقل المعارف والأخبار إلى المتلقى، بل إنّ محموله على فضاء التفاعل بين الناس، حيث لا تنهض اللغة في ذلك المقام التواصلي بوظيفة التخاطب فحسب، بل تتعداه إلى مرتبة العقد الخاص الذي تمتزج فيه بأحوال الناس الاجتماعية ومعيشهم اليومي.

ومما يلزم من التصوّر السالف اعتبار البعد التداولي بغية فهم قضايا الفعالية اللغوية، إذ لم يعزب هذا البعد التداولي عن نظر بيرلمان مجدد القول في البلاغة الجديدة آخذا في الاعتبار مظاهر جديدة من التواصل المكتوب والمنطوق التي تروم "تأسيس بناء فكري عميق تندمج فيه أبعاد المتكلم و المستمع و المقام" [3]

لقد أضحى المقام التواصلي بؤرة تجتمع فيها العناصر الحِجَاجِيّة مما يفضى إلى تسويغ دعوى بيرلمان حين حصر مرامي الدراسة الحِجَاجِيّة بقوله في" دراسة طبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها و الاصغاء إليها، ثم محاولة حيازة انسجامها الايجابي....." نفسه ص 273.

---

1 طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الدّروس الافتتاحية، الدرس العاشر، 1993-1994.، ص 5. بتصرف

2 حافظ اسماعيلي علوى، الحِجَاج مفهومه ومجالاته، المرجع السابق،ج1، ص 272.

3 المرجع نفسه ، ج1، ص272.

ونظير هذا الذي ألح عليه بيرلمان ما أقره فيليب بريتون_(.Ph .Breton) الذي أفرد مؤلفا لبسط قضايا الحِجَاج في التواصل حين اقترح مثلثه الحِجَاجِي ساعيا إلى تجاوز نماذج الخطاطة التواصلية الكلاسيكية التي قوام الغالب منها على نقل الخبر و عرض بديلاً محاولا تجاوزها.

لم تعد الخطاطة التواصلية التقليدية (المرسل، الرسالة، المرسل إليه) في تصوّره وجيهة لذلك استعاض عنها بالمثلث الحِجَاجِي (triangle argumentatif) حيث يصبح المرسل عارضًا والمرسل إليه معروضا عليه، بينما استبدلت الرسالة بالرأي بوصفه مجموع التمثلات المشكلة لوعي الإنسان ولرؤيته للعالم.

يستمد الرأي سنده من الحجج والأدلة التي تكون قابلة للدحض، لأنّ شروط العملية الحوارية تستدعي الاعتقادية؛ التي تُلزِم المدعي تقديم الدليل على ما يعتقده حتّى لا يصبح كلامه مردودا عليه؛ بناء على أن العلاقة التخاطبية ليست محصورة في قصدي التوجه والإفهام فحسب ، بل لابد من إضافة قصدي؛ الادعاء والاعتراض، فاللغة ما لم تنقل إلى الغير ما يحمله على الحركة فلا طائل تحتها. حيت تتجلى وظيفتها التأثيرية ويظهر طابعها الاستعمالي.

إنّ مقتضى قصد الادعاء أن المنطوق به لا يكون خطابا حقا، حتّى يحصل من الناطق صريح الاعتقاد لما يقول من نفسه وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه(عبء الاثبات) عند الضرورة. وأما قصد الاعتراض، فمقتضاه أن المنطوق به لا يكون خطابا حقا، حتّى يكون للمنطوق مطالبة الناطق بالدليل على ما يدعيه وفق منظور طه عبد الرحمن.

يتبين أن حقيقة الخطاب ليست هي المعادلة التي طرفاها: مرسل ومرسل إليه؛ لأنها معادلة تخاطبيه لم ترتق بعدُ إلى المعادلة الاستدلالية التي طرفاها المدعي والمعترض، علما أن فعل الحِجَاج ليس تجريديا(تأمليّاً) على طريقة أهل البرهان في الخطاب الفلسفي، بل هو حجاج توجيهي يجعل المخاطب مسكونا بفعل التوجيه وإقامة الدليل على الدعوى التي يتقلدها، بل هو حجاج تقويمي يأخذ بعين الاعتبار ردود فعل المخاطب .

تغدو العلاقة بين العارض (المرسل) والمعروض عليه (المتلقى) ذات طبيعة استدلالية في صلب المثلث الحِجَاجِي الذي يستفاد منه أن التواصل هو سيرورة نقل رأي ما من مُخاطِب إلى مُخاطَب في استدلال حجاجي لغرض تغيير سياق الاستقبال[1].

1. خصائص التواصل الحجاجي:

لقد نجم عن الاستعمالات المتعددة لمفهوم الحِجَاج في مجلات معرفية مختلفة اضطراب تصوّره واختلاله مما نتج عنه غموض في مكوناته التصوّرية، حيث أطلق في مجلات معرفية متعددة مثل الفلسفة والمنطق والقانون والبلاغة إلا أن التعريف الذي ركنا إليه هو

1 حافظ إسماعيلي علوي، الحِجَاج مجالاته ومفهومه، المرجع السابق،ج1،ص373. بتصرف.

التعريف الوارد في المحاضرة الثانية من هذه المطبوعة الذي مؤداه؛ «***الحِجاج جنسٌ خاصٌ من الخطاب يُبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيه المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المُترابطة ترابطا منطقيا قاصداً إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية***»[1].

يستفاد من التعريف السالف إلى جانب عناصره التي بسطنا القول فيها في المحاضرة الثانية مفهوم الاستراتجية التواصلية الحِجَاجِيّة بوصفها مجموعة الأعمال اللغوية القائمة على منطق خَطابي[2] ما وقوة قولية كامنة وغاية حجاجية مضمرة أو صريحة.

إلى جانب جريان الخطاب الحِجَاجِي في سياق تاريخي مُعين (المقام)، حيث يجري على الدوام، بين عارضٍ (مُستدّلٍ) مُعيّن ذي معارف واعتقادات ومقاصد مُعيّنة، ومعروض عليه(المستدَل له) مُشخصاً كان أو مقدراً يُرادتوجيه نظامه المعرفي وجهةً مُعيّنة تُمكّن المُستدِل من تحصيل أهدافه وبلوغ مراميه ، إذ يمكن أن يُؤثّر هذا السياق في تنظيم الحِجَاج على مستوى بنيته الصغرى وبُناه العامة، حيث يتجلى هذا التأثير في مسالك عرض الدَعاوى، وطرق الاستدلال ومسالكه والجهة التي يَؤمها، واختيار مقدمات(مواضع) وحجَج بعينها ونظمها، وترتيبها في مقابل الحِجَاج التجريدي التأملي الّذي تكون فيه الحُجَّة بناء استدلاليًّا مُستقلا عن سياقه ومُجردًا عنه إذ لا يقوم التدّليل فيه إلاّ على الجانب الشكلي ويُضرب فيه الصفح عن مضامينه واستعمالاته.

كما أن قد تسخر في سياق التواصل الفعلي أدوات غير لغوية بغية تحصيل مطلب التأثير في المتلقى من قبيل حركات الجسم و ايماءات الوجه و حركة اليد التي تصاحب الخطاب اللغوي كالنبر والتنغيم .

لقد تجسّدت أهم المباحث التداوليّة في الحِجَاج في أشكال عديدة نذكر منها:

2. **الدّور الحِجَاجِي لأفعال الكلام**: (نظرية أفعال الكلام العامّة)

تعتبر هذه النّظريّة الّتي قدّمها الفيلسوف أوستين، من أهمّ المحاور التّداوليّة Pragmatique المعاصرة، حيث أنّ صاحبها يعطي مكانة كبيرة لدور اللّغة وأفعالها

1 ، المرجع نفسه، ج4، ص5 .

2 خَطابي: (discursive) هو مُصطلح مشتقا من الجذر اللاتيني الّذي معناه الجري من جانب إلى آخر حيث يقال في المنطق على كلّ إجراء حين يكون فيه الذهن ملزما على تقليب عدد من الأفكار منتقلا من واحدة إلى أخرى بغية الجمع بينها، أو الاستنتاج منها وعليه فالتعميم والمقارنة والاستدلال هي إجراءات خطابية. والمعارف الحاصلة من تلك الإجراءات والعمليات الخطابية يُقال عليها كذلك خطابية كما يطلق مُصطلح الخطابية على اليقين والاستنتاج المُصاحب لتلك العمليات .

الكلاميّة في صنع الأحداث ونقل المعنيّين من مستوى التلقّي، إلى مصارح الفعل والتّجسيد وتكتسي هذه الأفعال قيمتها خاصّة عندما يكون موجّهو الخطاب من ذوي الكفاءات والمحاججة والإبانة.

يستخدم أوستين مصطلح إخباري ، ليعبّر عن النّوع الأوّل من القضايا في مقابل مصطلح أدائي الذي يعبّر به عن تلك القضايا التي تؤدّي بالفعل ما تصفه الأفعال، كما يستخدم مصطلح فعل الكلام Acte locutoire بصفة كثيفة للدّلالة على النّظريّة الّتي تحلّل دور الملفوظات في علاقتها بسلوك كلٍّ من المتكلّم والسّامع في التّواصل المشترك، وليس فعل الكلام متعلقًا بمعنى الكلام. ولكنّه بالأحرى نشاط تواصلي متحدّد بمرجعية مقصد المتكلّم أثناء كلامه والآثار النّاجمة عنه عن السّامعين.[1]

تنقسم نظريّة الأفعال اللّغويّة عند أوستين إلى ثلاثة أقسام:

- ✓ القول في حدّ ذاته؛ أي فعل إنتاج الأصوات وتركيب الكلمات في بناء يلتزم بقواعد اللّغة ويحمل دلالة مُعيّنة.
- ✓ القول الفاعل؛ أي الفعل الّذي ننجزه أثناء القول ونؤكّده بالقوّة البلاغيّة.
- ✓ الفعل التّأثيري (غير المباشر)؛ أي الأثر غير المباشر الّذي نحقّقه بالفعل[2].

1 محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحِجَاج في البلاغة المعاصرة، المرجع السابق، ص 182.
2 المرجع نفسه، ص 184.

المحاضرة رقم 11

الحِجَاج والمُحادثة

تمهيد :

لقد تقدم في المحاضرات السابق بيان الطابع التشاركي للحِجَاج وقيامه على التفاعل (interaction) بين أطرافه الفاعلين فيه ما حدا بالنّظار إلى حمله على الفعالية التداولية، فهو نشاط يتعذر قيامه على طرف واحدٍ إلا فيالحِجَاج التقويمي حين يجرد فيه المُحَاجِج من ذاته ذاتًا خطابية (être discursif) ينزلها منزلة المحاور، على أن الغاية من هذا الضرب هو تقدير اعتراضات المتلقى واستباق الإجابة عنها، فالحجاج التقويمي يروم سدّ منافذ الافلات من التسليم بالدعوى المعروضة.

إنّ مدار فعل المحاجة على نقل اقتناع (أطروحة) إلى الطرف الآخر عن طريق وسيط خطابي قد يكون حوارا أو محاورة أو محادثة، فما الصلات التصوّرية بينالحِجَاج و المحادثة؟

1. تعريف المحادثة:

1.1. لغة:

ورد في معجم "لسان العرب" أن « الحديث ما يُحَدِّثُ به المُحَدِّث تحْديثًا؛ وقد حدَّثَه الحديثَ وحَدَّثَه به. الجوهري: المحادثة، والتحادث، والتحدُّث، والتحديثُ:

معروفات»[1]، ويرى « ابن سيدة: وقول سيبويه في تعليل قولهم: لا تأتيني فَتُحَدِّثْني، قال: كأنّك قُلت ليس يكونُ منك إتيانٌ فحديثٌ، إنَّما أراد فتَحديثٌ، فوضع الاسم موضع المصدر، لأنّ مصدر حدَّثَ إنّما هو التحديثُ، فأمّا الحديثُ فليس بمصدر. وقوله تعالى: ((**وأمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**))؛ أي بَلِّغْ ما أُرْسِلْتَ به، وحدِّث بالنبوة التي آتاك الله، وهي أجَلُّ النِّعَم .

2.1.اصطلاحاً:

ذهب أصحاب مُعجم تحليل الخطاب إلى حمل المحادثة (conversation) على نوع خاص من التفاعلات اللغوية، كما تدل المحادثة من جهة أخرى على كل أنواع التبادلات اللغوية مهما كانت طبيعتها وشكلها[2].

يطلق بعض الباحثين مصطلح "المحادثة"، و"الحوار"، والتحادث على سبيل الترادف غير أنّ "فان ديك" قد ميّز بين المحادثة والحديث والحوار، إذ يرى أنّ المحادثة « وحدة تفاعل اجتماعية تتكون من سلسلة متشبعة من أحداث (لغوية)، وتحدّد ارتباطاً بسياق اجتماعي»[3]، بينما الحديث فهو « الوحدة النصية التي تتشكّل في سلسلة منتظمة من المنطوقات التي تتجلى في المحادثة»[4]، في حين ينظر إلى الحوار على أنّه يحتوي عل الحديث/ المحادثة وأشكال أخرى للتفاعل اللغوي، حيث يشمل الحديث على مصطلحات « نحوية (مورفولوجيا، ونحو، ودلالة) وأبنية نظرية نصية (أسلوب، أبنية بلاغية، وهياكل (مخططات)، بينما تجرى على المحادثة اصطلاحات براجماتية ومصطلحات خاصة بنظرية الحدث ومصطلحات إدراكية واجتماعية»[5]، وعليه فالمحادثة باعتبارها شكلا من أشكال التواصل التفاعلي، وحدثا تواصليا بلا منازع، هي حصيلة نشاط لغوي بين مشاركيْن على الأقل، يشترط بينهما تناوب للأدوار في الكلام، باعتبار آلية تناوب المتكلمين أمرا أساسيا وجوهريا يعمل على إنتاج عمليات تفاعلية موّسعة، وينظر إليه على أنّه مبدأ تنظيم عالمي للمحادثات.

يُعدّ التبادل السمة المميّزة في تعريف المحادثة، وهو ما تؤكده "أوريكيوني" حين تعريفها المحادثة على أنّها « تتابع في أدوار الكلام»[6]، إلى جانب أهمية موضوع المحادثة،

1 ابن المنظور، لسان العرب، ص 672.
2 Patrick Charaudeau, Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'analyse Du discours, p142.
3 فان ديك، علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، ط1 عالم الكتب، القاهرة، 2007، ص 375.
4 المرجع نفسه، ص 375.
5 المرجع نفسه، ص 281-282.
6 Catherine Kerbrat- Orecchioni, La conversation, p 34.

كونه بؤرة اهتمام إدراكي للمشاركين في أي نشاط لغوي تفاعلي، وبناء على ما سبق ذكره، تشمل المحادثة على شريكين في التفاعل على الأقل وعلى تناوب إجباري بين المتخاطبين.

فالمحادثة هي وحدة تتكون من نصّين، ينتجها المشاركون في التفاعل، بينما يرى رواد مدرسة جنيف أنّه لا يوجد فرق بين المحادثة وبقية الخطابات، إذ «يستعمل "رولي" (Eddy Roulet) مصطلح الخطاب استعمالاً شاملاً (générique) ليشير به إلى كل إنتاج تفاعل لغوي، وهذا الأخير يمكن أن يكون حواريا أو منولوجيا، شفهيا أو كتابيا، تلقائيا أو مفتعلا، في أبعاده اللسانية والنصيّة والسياقيّة»[1]، وقد كُرّست الدّراسات اللغوية لتحديد المفاهيم الأساسية للمحادثة بالنظر إلى السياق الاجتماعي، والثقافي، والعرقي، واللغوي .

2. بنيّة المحادثة عند التداوليين:

تجيز المحادثة باستخدام الاستدلال البسيط من جهة ممّا يسمح بالوصول إلى البِنيَّة الهرمية والوظيفيّة لمحادثة ما، كما تجيز من جهة أخرى عن طريق مبادئ الإسقاط التي تحدّد مختلف أنواع الضوابط والقيود الحوارية في مجرى الحديث، حيث تتوقف بِنيَّة المحادثة، حسب موشلر[2]، على تفاعل هذه الضوابط على مستوى التفاعل، والبنية، والنشاط التسلسلي.

تمثلت مكوّنات المحادثة عند "رولي" في: التبادل، والتدخل، والفعل[3]. أمّا الباحثة "أوريكيوني" فقد حدّدتها في خمس وحدات أساسية، وهي بمثابة تصنيف مبسط للنموذج التسلسلي الذي اعتمدته مدرسة جنيف، فقسّمت هذه الوحدات إلى وحدات حوارية (unités dialogales)، تتمثل في التفاعل، والتتابعات (المتواليات) (séquences)، والتبادل، وأخرى منولوجية (unités monologals)، تتمثل في التدخل، والفعل الكلامي[4].

3. الحِجَاج في المحادثة:

ينهض الحِجَاج بدور لا يُستهان به في توجيه تأويلات الخطاب المنولوجي والحواري حيث يعمل الحِجَاج على توليد تأويلات في بِنيَّة مكوّنات المحادثة على هذا النحو:

.1.3. الحِجَاج في بِنيَّة التدخل:

1 Patrick Charaudeau, Dominique Maingueneau,ibid , p 38.
2J.Moeschler, Argumentation et conversation, p 78.
3-Eddy Roulet , La dimension hiérarchique, dans Un modéle et un instrument d'analyse et de l'organisation du discours, p 35.

4 - Orecchioni Catherine Kérbrat, La conversation, Édition le seuil, France,1996,p 36.

يستند التحليل الحِجَاجِي للوقائع التداولية على فرضية قوية ذات صلة بمبدأ دفع التناقض الحِجَاجِي (non-contradiction argumentatif) الذي يقوم بتوجيه علاقة الملفوظات بالوظيفة الحِجَاجِيّة حيثأكد موشلار على تعذر الدفاع عن نتيجتين(أطروحتين) متناقضتين باستعمال الحُجَّة نفسها؛ فلا يمكن لحجتين متناقضتين أن تؤديا على النتيجة نفسها .

لا يتحكم مبدأ دفع التناقض في سيرورة تأويل الملفوظات فحسب، بل في الخطاب الحِجَاجِي أيضا حيث يسعى إلى تحقيق تماسكه (cohérence argumentative) ويكون ذلك حين تسخير الروابط الحِجَاجِيّة التي تضمن ملاءمة المعلومات الحِجَاجيّة .

2.3.الحجاج في بِنيَّة التبادل:

يتبادر إلى أذهان أفراد التبادل في صلب التفاعل اللغوي الكيفية التي سينهى بها المشاركون هذا التفاعل، إذ من صميم مهام المشاركين في التفاعل العثور على نمطٍ مُلائمٍ لاختتام التبادلات بينهم، إذ يبرز في هذا الطور من أطوار التفاعل دور الحِجَاج في إنهائه وتظهر نجاعته في عملية الاختتام حيث يكون مُرضيًّا ومفتوحًا على الاسترسال وقابلاً لمواصلة التفاعل أكثر.

3.3. الحِجَاج و طور الاختتام :

يتجلى دور الحِجَاج في تصوّر نُظّار مدرسة جنيف في الإنهاء التام للتفاعل حيث يحصل ذلك حين يتفق جميع الفاعلين فينقضى الكلام وتنعدم الإضافة، بينما يفضى غياب الاتفاق إلى مواصلة النقاش، حيث يذهب موشلار إلى إقرار أن إنهاء مرحلة من التفاعل بصورة إيجابية لا يلزم منه بالضرورة الإنهاء الكُلي للتفاعل.

4. **المحادثة والتدرّج** (expansion): يحتوى التوسع أو ما يمكن أن نصطلح عليه بالتدرج ثلاثة أنماط أساسية في كل عملية معالجة للحِجَاج وهي:

.1.4. التدرّج **بالتناقض**: هو توسع من اليسار؛ أي هو نمط بنيوي تنازلي.

.2.4. التدرّج بالاسترسال (ex.par relance) وهو كذلك تدرّج من اليسار يمثل نمطًا بنيويًّا تنازليًّا حيث يكون الباعث عليه التطور غير المرضي للجواب.

التدرّج الموضوعاتي(thématique) هو نمط بنوي تصاعدي يتوسع من اليمين يعمل على تطوير بِنيَّة التبادل التابع مباشرة للمكوّن المهيمن الداخلي.

نخلص في ختام هذه المحاضرة الموجزة إلى أن الأبحاث في المُحادثة تهتم بالقواعد الواجب مراعاتها من قِبل المشاركين في التفاعل بغية ضمان السير الحسن للمحادثة وسلاستها حيث من مقتضياتها حِيازة المشاركين على قُدرة تواصلية تخول لهم إنجاح التفاعل بينهم .

قائمة المصادر والمراجع

أ- المعاجم

1. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف ، القاهرة، دت.
2. أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط،1979 .
3. باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمّود، المركز الوطني للترجمة، تونس2008.
4. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الإيمان، د ط، الإسكندرية، مصر، 2004م.
5. لالاند أندريه، موسوعة الفلسفية، تع: أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، المجلد A- G، ط2، منشورات عويدات، بيروت ـ فرنسا، 2001.
6. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي ط1، بيروت1667م.
7. محمد على التّهانوي، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، بيروت لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996.
8. موسوعة ويكيبيديا الرقمية .

ب- المصادر

1. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة، مصر.د.ت.
2. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
3. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دت.
4. العلوي يحيي بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب، خديوية، القاهرة، ط1، 1914.

ج - المراجع باللغة العربية

1. ابراهيم السعافين وعبد الله الخياص، منهاج تحليل النصّ الأدبي. ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة 1993.
2. ابن عيسى بلطاهر، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، الدار البيضاء، ط1، بيروت، لبنان 2000 .
3. أبو بكر العزاوي: حوار حول الحجاج، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2010م.
4. أبوبكر العزاوي، الخطاب والحجاج،الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، المغرب2007.
5. أوليفييه ريبول، مدخل إلى الخطابة، تر: رضوان العصبة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء،المغرب، ط1، 2017م.
6. بنّاصر البُعزّاتي، الاستدلال مستويات في القوة والوثاقة، ضمن آليات الاستدلال في العلم، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000..
7. حافظ إسماعيلي علوي وآخرون، الحِجَاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة، تأليف: مجموعة من المؤلفين، إعداد وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي، ط1 عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010.
8. حسن المودن، بلاغة الخطاب الاقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية، ط01، الأردن، 2014.
9. سامية دريدي، الحِجَاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه،عالم الكتب الحديث،ط2،أربد، الأردن،2007.
10. سهيلة بن عبد الحفيظ، الحِجَاج في زهديات أبي العتاهية، إشراف بوزيد ساسي هادف، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة 08 ماي 1945، قالمة.
11. شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة ، ط2، 2010 .
12. صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008.
13. طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الدّروس الافتتاحية، الدّرس العاشر، 1993- 1994.

14. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء،1998 .
15. طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة ج1، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1995.
16. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2000.
17. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، افريقيا الشرق،د.ط،المغرب،2006.
18. عبد العالي قادة، بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر، ط01، 2016.
19. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الضفاف، بيروت لبنان، ط1، 2013.
20. عبد الله صولة، الحِجَاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية دار الفارابي، ط02، بيروت، 2007 .
21. عبد الله صولة، نظرية الحِجَاج "دراسة وتطبيقات"، مسكيلياني للنشر، ط1، تونس، 2011م.
22.عبد الله صوله، أهم نظريات الحِجَاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، كلية الأدب منوية، فريق البحث في البلاغة والحجاج، (د.ط)ن (د.ت).
23. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2004.
24. عبد الهادي بن ظافر الشهري، الخطاب الحِجَاجِي عند ابن تيمية مقاربة تداولية، ط1، دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان،2013.
25. عماد صالح محنان، تحليل الخطاب الهندسي في التراث العربي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015.
26. محمد ابن حمو ابن حزم، فارس الحِجَاج في الغرب الاسلامي، ضمن كتاب : التحاجج طبيعته ومجالاته، ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،2006.
27. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتدادها،إفريقيا الشرق،د.ط، المغرب،1999.
28. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا،ط 2،المغرب،2002.
29. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحِجَاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديدة، المتحدة، ط1،بيروت لبنان،2008.

د - المقالات

1. حبيب أعراب، الحِجَاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، العدد01، المجلد 50، جويلية، سبتمبر، 2001.
2. حسن بن عبو، مجلة دراسات شرعية، المنحنى الحِجَاجِي للخطاب القرآني وأثره في منهج الاستدلال الأصولي، العدد 26.
3. رضوان الرقبي، الاستدلال الحِجَاجِي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، الحجاج، العدد 02، المجلد 40، أكتوبر، ديسمبر، 2011، الكويت.
4. عايدة جدوع حنون،محمد ناصر الظالمي، نشأة الحجاج، مجلة آداب البصرة، العدد 72، 2015.
5. عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد 09، 2013.

هـ ـ المراجع باللغة الفرنسية

1. Charaudeau Patrick , Dominique Maingueneau, Dictionnaire d’analyse du discours, Édition du Seuil, paris, 2002.
2. Moeschler Jacques ,Argumentation et conversation, Éléments pour une analyse pragmatique du discours, Hatier, Paris, 1985.
3. Orecchioni Catherine Kérbrat , La conversation, Édition le seuil, France,1996.
4. Roulet Eddy et autres, Un modèle et un instrument d’analyse de l’organisation du discours, Édition scientifiques européennes, Berlin, 2001.